الدكتور جودت الركابي
أستاذ في جامعة دمشق

منهج البحث الأدبي

في

إعداد الرسائل الجامعية

- دبلوم
- ماجستير
- دكتوراه

دار دمشق
للتأليف والترجمة والنشر
دمشق - سورية
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

دمشق : ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

عدد النسخ ٢٠٠٠

رقم الموافقة ٢٠٧١٨ تاريخها ٦/ ٨/ ١٩٩٢

منهج البحث الأدبي في إعداد الرسائل الجامعية : دبلوم - ماجستير - دكتوراه / جودت الركابي .- دمشق : دار ممتاز ، ١٩٩٢ .- ٩٦ ص ، ٢٥ سم .

١-٨١٠,١ رك ا م   ٢- العنوان   ٣- الركابي

مكتبة الأسد

ع -٨٨٢ / ٨ / ١٩٩٢

دار ممتاز

للتأليف والترجمة والنشر

دمشق ، هاتف ٧١٥٩٢٨

يمنع طبع هذا الكتاب بكل طرق الطبع والتصوير

إلا بإذن خطي من صاحب دار ممتاز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المنهج في كل علم من العلوم هو الطريقة أو مجموعة الطرق التي يتبعها الباحث للوصول إلى الحقيقة وإلى نتائج ذات قيمة مستلهماً معطيات العقل والوجدان ومستنداً إلى الوثائق التي يتحرّاها .

والمنهج يتحدد تبعاً للمادة التي ندرسها ، فهناك مناهج للعلوم المختلفة تتحدد باختلاف هذه العلوم ، من رياضية تستند إلى الاستنتاج وأخرى طبيعية تستند إلى الاستقراء من ملاحظة وتجريب . ولكن العلوم الإنسانية - والأدب فرع منها - تستند في دراستها إلى الوثائق والنصوص المكتوبة والمنطوقة واستخلاص النتائج منها . وعلم التاريخ يستند في دراسته أكثر مايستند إلى دراسة الوثائق سواء أكانت أحجاراً أم كتابات منقوشة أم غيرها . ولكن الأدب يسجل الأفكار والعواطف فيما يخرج عن الشاعر أو الكاتب من شعر أو نثر مكتوب أو منطوق ، وعلى الدارس أن يبحث في هذا الكلام ويتحقق من صحته أولاً ثم يبحث في دلالاته ثانياً وهذا مايقودنا إلى منهج علمي في دراسة الأدب .

ونحن لانريد ، فيما سنتطرق إليه في هذا الكتاب ، أن نصل إلى مايقودنا إلى النقد الأدبي ، فهذا من باب دراسة طبيعة الأدب وغايته ، وهو إلى البحث النقدي أقرب منه إلى البحث المنهجي . وإنما نبغي ، فيما سنقدّمه في الصفحات الآتية ، أن نبيّن الخطوات التي يجب أن يخطوها الباحث في إعداد بحثه والأسس التي يسير عليها ، وهذا مانسميه بـ «منهج البحث الأدبي» الذي يستطيع الطالب أو الدارس أن يقدّم في ضوئه بحثاً علمياً منهجياً قَدْرَ الإمكان ، كما يدلُّ الكتاب أيضاً على الأصول المعتمدة في تحقيق النصوص .

وفي تاريخنا الأدبي والنقدي لفتات وإشارات إلى مايجب أن يتبعه الباحث أو المحقق من قواعد وأصول ولكنهاقليلة وغير كافية ، وقد ورد بعضها عند نقادنا القدامى أمثال ابن قتيبة والجرجاني وابن رشيق وغيرهم . ثم تتالت دراسات نقدية حديثة عند بعض علمائنا من الأدباء كطه حسين وأحمد أمين ومحمد مندور وشكري محمد عياد وإحسان عباس ومحمد يوسف نجم وغيرهم ، وقد قام بعضهم بتحقيق كتب قديمة قيّمة وتأليف أخرى على جانب من الأهمية في تاريخ البحث الأدبي والنقد الأدبي .

على أن الدراسات الأدبية الحديثة وأساليب التحقيق الحديث أخذت تطرق بابنا عندما أخذنا نطّلع على الدراسات النقدية الحديثة عند بعض علماء الأدب في الغرب ، وعندما أخذنا نطّلع في التحقيق على منشورات المستشرقين لبعض كتبنا القديمة التي سلكوا فيها أساليب النشر العلمي ، فحققوا نصوصها وأقاموا لها

الفهارس المختلفة التي تساعد القارىء وتفسح أمامه سبل الرجوع إليها بيسر .

ونستطيع أن نقول إن «منهج البحث الأدبي» لم تتضح لدينا رؤيته ومعالمه إلا منذ أن اطلعنا على كتابات بعض علماء الأدب والنقد أمثال سانت بوف (Sainte-Beuve) وتين (Taine) وبرونتيير (Brunetière) ولانسون (Lanson) ، فقد اتخذ كل منهم منهجاً لدراسة الأدب في سبيل الوصول إلى «علم» للأدب تحدَّد منهجيته وطريقته ، وكانت هذه الكتابات قد صدرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وقد أشار كل من هؤلاء الأدباء إلى الصعوبات التي تعترض هذه المنهجية وهذا العلم ، وكانت طريقة (لانسون) تطبيق الطريقة التاريخية في دراسة الآثار الأدبية ، وعنده أنها الصورة الوحيدة لجعل الأدب «علماً» . ثم تلاحقت الدراسات والمناقشات بين عدد من أساتذة الأدب من إنكليز وأمريكيين ، وكانت دراسة ويليك (Wellek) ووارين (Warren) في كتابهما «نظرية الأدب» من آخر هذه الدراسات .

على أن الدراسات الحديثة اليوم تفصل بين فكرة دراسة الأدب بوصفه تاريخاً ودراسته بوصفه علماً . وأصبح للأدب دراسة منهجية خاصة تستمد أصولها من مناهج مختلفة لامجال هنا للخوض فيها .

فهناك المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي والمنهج التأثري والمنهج النفسي والمنهج التكاملي وغيرها ، وقد أوضح شوقي

ضيف هذه المناهج في كتابه «البحث الأدبي» ويمكن الرجوع إليه .

على أن الدراسة الأدبية من حيث هي تاريخ ، لاتزال سائدة في مدارسنا وذلك لصعوبة دراسة المادة الأدبية دراسة علمية خاصة تستند إلى النص ومقوماته ، ومع ذلك فقد أخذ مدرسونا الأكفياء يميلون إلى الدراسة النصّيّة دون أن يهملوا الدراسة التاريخية وأثرها في إنارة النص .

لقد كانت دراسة أدبنا في الماضي تعتمد عل الذاتية وعلى الأحكام المطلقة . حقاً إن الأدب ـ شعراً كان أو نثراً ـ هو الكلام الجميل الصادر عن الوجدان ويؤثر في الوجدان ، ولذا فهو لايخلو من الذاتية ولايمكن لدراسته أن تتخلّى عن النظرة الذاتية ، وذلك بسائق طبيعة الأدب نفسه غير أن من الواجب، في الوقت نفسه ، ألا نتخلّى عن جعل دراسته تعتمد على العلمية وفحص الوثائق والنظر في النص من مختلف وجوهه ، الأمر الذي يفرض أن ننظر إليه نظرةً موضوعية وأن نضعه في الإطار الزمني ونحلله تحليلاً علمياً .

وعندي أن المنهج الذي يجب أن يصدر عنه الطالب أو الباحث الأكاديمي هو المنهج الكلاسيكي أو مايمكن أن نسميه بالمنهج التكاملي الذي يجمع بين تلك المناهج ، كلّها أو بعضها ، ويكون عمدته المنهج التاريخي وفحص الوثائق من جهة ، ودراسة النص دراسةً علمية تستند إلى فهمه لغوياً وتذوقه جمالياً وإظهار دلالاته الوجدانية والإنسانية من جهة أخرى .

ولاشك في أن وراء كل عمل أدبي ـ شعراً كان أو نثراً ـ رؤيةً

خاصة . وهدف الباحث الأدبي أن يصل إلى كشف هذه الرؤية وفهمها ، ومن هنا تبدو لنا علاقة البحث الأدبي بالنواحي التاريخية ودراسة الوثائق وتحقيقها ليتخذها سُلَّماً إلى الإحاطة بهذه الرؤية التي لاتتضح إلا بفهم النصوص من نواحيها اللغوية والجمالية وبيان دلالاتها الاجتماعية والنفسية والفلسفية .

إننا نقول إن هذه الرؤية لابد أن تكون ذاتية لأنها تعبّر عن معاناة الشاعر أو الكاتب ومحاولته لاستعادة توازنه النفسي فيما يبدعه من عمل أدبي . ولذلك لايمكن للنص أن يتخلّى عن الذاتية ولا يمكن لدراسته أن تتخلّى عنها، ومن هنا لا يمكننا، في دراسة الأدب ، أن نتخلّى عن الأحكام القيميّة .ولكن لتكن هذه الأحكام القيميّة مستندةً إلى عمق علمي .

علينا أن ننطلق من الوثائق ، ونلمَّ بأصول تحقيقها ، وندرس النص دراسةً خارجية تشمل (النواحي التاريخية والاجتماعية والنفسية . . .) ودراسةً داخلية تشمل (النواحي اللغوية والبلاغية والجمالية . . .) ، وهذا ماأردناه بمنهج البحث الأدبي الذي يتصدى هذا الكتاب لتبيانه ويفسر الأصول التي يجب على الباحث أن يتبعها في إعداد موضوعه ، والأصول التي يتبعها في تحقيق النصوص والمخطوطات ، والخطة التي يجب أن يسلكها في إنشاء بحثه في المستويات المختلفة من دبلوم وماجستير ودكتوراه ، وإغنائه بمضمون صحيح قوي وشكل سليم .

ونشير ، في الختام ، إلى أن ماسيرد في هذا الكتاب من شروح إنما هو خطوط عريضة وإرشادات عملية مقتضبة نظرت في

إعدادها إلى بعض الكتب الصادرة في هذا الموضوع واقتبست منها ، وقد أوردتها في ثبت المراجع وننصح الباحث بالعودة إليها .

وتبقى مقدرة الباحث وكفايته العلمية ، وشخصيته الفذة وموهبته ، هي السبيل الأمثل لبلوغ الهدف المنشود .

والله من وراء القصد.

الفصل الأول

البحث العلمي : ماهو ؟

البحث العلمي هو التنقيب عن حقيقة ابتغاء إعلانها دون التقيد بدوافع الباحث الشخصية أو الذاتية إلا بمقدار مايفيد في تلوين البحث بطابع الباحث وتفكيره ويعطيه من روحه التي تميزه من غيره .

أقول هذا أولاً لأشير إلى أن البحث العلمي وإن كان من الواجب أن يكون موضوعياً إلا أنه في موضوعيته لايمكن أن يتخلى تماماً عن روح الكاتب وطابعه وذاتيته ، لأن الأسلوب هوالرجل كما يقول بوفون (Buffon) .

ولكن ، مع وجود هذه الصفة المميزة التي يستمدها البحث من كاتبه ، نقول بكل صراحة وتأكيد إن البحث العلمي يجب أن يكون منزهاً عن الهوى الذاتي ، ويجب أن تكون غايته الظفر بالحقيقة واكتشافها سواء اتفقت مع ميول الباحث أم لم تتفق . هذا الأمر يجب أن يتأكد ، بصورة خاصة ، عندما يكون البحث رسالةً أو أطروحة جامعية .

هذا ومن الطبيعي ، عندما يكون البحث رسالة جامعية ، أن

بيدأ الطالب بحثه دون أن يكون له رأي مسبق في بادىء الأمر إلا بما يتعلق باختيار الموضوع . وعليه إذاً أن يقرأ حول الموضوع وأن يجمع المادة التي تفيد موضوعه وأن يحسن تفهم هذه المادة ، والقراءة والجمع عملان أساسيان يسبق الأول الثاني ويتداخلان معاً ، والباحث عند القراءة والجمع يقارن ويوازن بعيداً عن الهوى بغية الوصول إلى جوهر الحقيقة ، فهو لهذا يقرأ لالبيرهن على فكرة مسبقة في ذهنه وإنما يقرأ ليكتشف شيئاً ما ، وفي هذه المرحلة يجب أن يكون مرناً كل المرونة بعيداً عن التعصب لرأيه متخذاً جميع الوسائل التي تساعده على بلوغ هدفه ، فإذا ماقاده تنقيبه إلى تبديل رأي أو تغيير اتجاه تحت تأثير ماعثر عليه من مصادر ومراجع وما قام به من دراسة وموازنة ومقابلة غيّر رأيه بسهولة غير مهتم بما يترتب على هذا التغيير من تعب ونصب ، وبهذا يكون محققاً للروح العلمية التي يجب أن يتصف بها الباحث والتي يجب ألا تؤثر فيها أية رغبة أو هوى ، وألا يلعب بها أيُّ ميل أو مذهب .

من هنا نقول إن المادة المجموعة والدراسة الموضوعية هماالليتان يجب أن تقودا إلى النتيجة . واكتشاف الحقيقة مرهون بهذه الحقائق المادية وبتفهمها الذكي الصائب .

مما تقدم نستطيع أن نعرّف البحث العلمي بأنه محاولة صادقة لاكتشاف الحقيقة بطريقة منهجية وعرضها بعد تقص دقيق ونقد عميق عرضاً ينم عن ذكاء وفهم حتى يستطيع الباحث أن يقدّم للمعرفة لبنة جديدة ويسهم في تقدّم الإنسانية .

أنواع البحث :

لن أتعرض هنا إلى أنواع الأبحاث من حيث الذاتية والموضوعية بعد أن قررت أن البحث الجامعي الذي يهدف إلى إعداد رسالة أكاديمية يجب أن يكون قبل كل شيء موضوعياً ، وبعد أن قررت أيضاً أن البحث لايستطيع أن يتخلّى عن الذاتية التي تتجلى في أثر الكاتب والتي تحدد نوع الإبداع والابتكار وتعطيه رونق الجمال والانسجام وطابع الأسلوب الشخصي . أما الصفة الموضوعية فهي تلك التي تتجلّى في تطبيق الوسائل العلمية على البحث واستخدام المادة واستقرائها ومعالجتها بالتنقيب والتحليل والموازنة بذكاء وفهم لتقود الباحث إلى الحقيقة المنزّهة عن الهوى المؤيدة بالحجج والأسانيد .

ونرى أن جميع البحوث ، سواء أكانت علمية أم أدبية أم لغوية أم اجتماعية أم فنية ، لابد أن تسير في تحقيق أهدافها على الأسلوب الموضوعي المنهجي . وهي على الرغم من تنوّع حقولها تبقى في جوهرها واحدة إذا كان القصد منها الدراسة الأكاديمية .

بعد هذا ماالتسميات المختلفة التي تعطى لهذه البحوث؟ هناك تصنيف للبحوث من حيث الطول والقصر والتشعب والغاية ، فالبحث القصير الذي يبغي عرض قضية محددة ومناقشتها في شيء من الاختصار هو مااصطلح على تسميته بالمقالة أو الإنشاء المنهجي سواء أكان أدبياً أم علمياً ، وهو أول مايعالجه الطالب منذ أن يبدأ مرحلة دراسته الثانوية حتى نهاية دراسته الجامعية ،

وتبقى المقالة ، بعد هذا ، الموضوع المهم الذي يطرقه الكتّاب أيضاً على اختلاف أساليبهم ، ولهذا فنحن نعير المقالة ، في التدريس ، شأناً خاصاً لأنها الطريق الأول والبادرة الأولى إلى البحث العلمي بمفهومه الواسع الذي سيتعرض له الطالب فيما بعد .

والمقالة أو مايسمى بالفرنسية (article ou dissertation ou exposé) مع ما في هذه التسميات الفرنسية من فروق من حيث المضمون والشكل والاتساع ، هي الغاية التي يرمي إليها التعليم في الفروع الأدبية ليكوّن طلاباً قادرين على معالجة قضية من القضايا بأسلوب علمي صحيح ومركّز ، وتسلسل منطقي ذكي ، يعتمد على المراجع أو لايعتمد . لهذا فنحن نعير إلى حسن كتابة المقالة اهتماماً بالغاً ، والطالب الذي استطاع أن يعالج هذا الفن بمقدرة وذكاء يمكن فيما بعد أن يجول في كتابة الرسالة أو الأطروحة .

وليس المجال هنا للكلام على أنواع المقالة من ذاتية أدبية ، وعلمية موضوعية ، ومن مقالة اجتماعية ، وأخرى سياسية أو نقدية أو لغوية ، ولكنني أحب أن آتي على تعريف المقالة وبيان عناصرها بإيجاز لأن في ذلك مايعين على فهم بعض جوانب الكتابة الإنشائية سواء أكان ذلك في إنشاء المقالة ذاتها أم في إنشاء الرسالة أو الأطروحة .

فالمقالة قطعة نثرية محدودة الطول تعالج مسألة علمية أو أدبية أو اجتماعية أو سياسية أو نقدية . . . يشرحها الكاتب ويؤيدها

بالبراهين والحجج حيناً وبالانفعال الوجداني والتأثير العاطفي والتصوير الفني حيناً آخر ، مراعياً عنصر الإمتاع والإطراف والتشويق ، ويصل فيها إلى نتيجة دون تعمقٍ في ذلك أو استقصاء .

نلاحظ من هذا التعريف ـ وإن كان لاينطبق دوماً على جميع المقالات ، إذ هناك مقالات تخلو من عنصر الإمتاع ويقصد فيها تحقيق هدفها بجفاف العلم أو صرامة الباحث المحقق ـ أقول إننا نلاحظ من هذا التعريف بعض الجوانب التي يجب أن تتحقق لافي المقالة فقط بل في إنشاء الرسالة أيضاً وهي التأييد بالبراهين والحجج ، أما الانفعال الوجداني فهو مالا نطلبه مطلقاً من الباحث الأكاديمي في رسالة ما ، وإن كنا نطلب منه طلاوة الأسلوب وصحته وانسجامه ، أما النتيجة التي يجب أن يصل إليها الباحث في بحثه فهي تماماً على عكس نتيجة كاتب المقالة إذ يجب أن تكون نتيجةً عميقةً ، وأن يكون استقصاؤه مدروساً كما يجب أن يكون اكتشافه محققاً لهدف البحث ومغنياً للمعرفة الإنسانية ، وهذا مالانطلبه من كاتب المقالة كما رأينا .

وعناصر المقالة الأساسية هي : الفكرة ، ويشترط فيها القوة والوضوح ؛ والأسلوب ، وينبغي أن يكون سهلاً دقيقاً في المقالة الموضوعية ، موسيقياً مزخرفاً يعتمد على التصوير والتلوين في المقالة الذاتية ؛ والعرض أو (الخطة) ويراعى فيه التنظيم والتنسيق وإحكام الربط بين المقدمات والنتائج في المقالة الموضوعية ، كما

يراعى فيه الجمال وتتابع الصور وتسلسل القصة في المقالة الذاتية .

وتتكوّن المقالة ، عادةً ، من مقدمة وموضوع وخاتمة ، يراعى فيها النظام والترتيب والانسجام بين المقدمة والموضوع وانصباب الأفكار كلها نحو الوصول إلى نتيجة معينة تمهد لها المقدمة كما يمهد لها الموضوع .

أما المقدمة فهي موجز للأفكار التي سيعالجها الكاتب في مقالته أو إيماء لها في براعة استهلال ، وأما الموضوع فهو شرح وتفصيل للأفكار التي أوجزت في المقدمة ، وأما الخاتمة فهي النتيجة التي وصل إليها الكاتب بناءً على الحجج والبراهين المنطقية والتأثيرية التي أوردها في الموضوع .

ولم يخل أدبنا العربي القديم من أصول المقالة نجدها عند ابن المقفع والجاحظ وغيرهما ، وكانوا يطلقون عليها اسم الرسالة وهو مايسمى بالفرنسية (épître) وإن كانت الرسالة القديمة أطول من المقالة الحديثة . . .

وقد أخذنا المقالة عن الغربيين حين أخذنا عنهم فن الصحافة فاقتضت الضرورة أن يتحدث الكاتب عن المشكلات المختلفة فنشأت المقالة التي تتميز بوضوحها لأنها موجهة إلى جمهور كبير من الناس متباين الوعي والإدراك ، كما تتميز بسهولة أسلوبها وبعده عن التكلف والصنعة .

وقد عرف أدبنا الحديث كثيراً من الأدباء الذين عالجوا فن

المقالة بمختلف أنواعها وغذّوا المكتبة العربية بروائع آثارهم ، ولعلنا لانستطيع حصرهم وتعداد ألوانهم الكتابية ، فهناك مَنْ عُرِف بالأسلوب العلمي الرصين كيعقوب صروف وأحمد زكي ، وهناك من امتاز بأسلوبه الخطابي وبرع في تخيّر الألفاظ ومراعاة المشاكلة في رصفها وتنسيقها كالمنفلوطي ، وهناك طه حسين في أسلوبه الجامع بين موضوعية العلم وذاتيه الفن متأثراً بالجاحظ في حرصه على تلوين العبارة وتنويع الصور مع محبةٍ للتكرار وسلاسةٍ في العبارة ، بينما ظهرت على مقالات أحمد أمين تلك العناية بالفكرة ، فهو يكتب بعقله أكثر مما يكتب بقلبه وشعوره ، وقد امتاز أسلوبه بالوضوح والإيجاز في العرض ، أما أحمد حسن الزيات فهو صاحب الصنعة المقبولة يحسن الرصف والتزيين ويجيد تنسيق فسيفساء العبارة .

ويبقى إبراهيم عبد القادر المازني بين كتّاب المقالة ذلك الكاتب البارع الموهوب الذي عكس الحياة من خلال نفسه ، فضحك منها وسخر من متناقضاتها في مرارة لاتكاد تستر نفسها حتى تبين من خلال عباراته اللاذعة التي كانت تتدفق تدفق الماء الرقراق .

تلك هي المقالة ، أولى أنواع الكتابة التي ترمي إلى البحث في قضية محددة ، ونرى من الواجب عل الطالب أن يحسنها قبل أن يخوض في خضم البحث الطويل الذي تضمه الرسالة أو الأطروحة وقد قال العقاد : المقالة مشروع كتاب .

ولهذا لابد للطالب من أن يكون قد مرَّ بمرحلة كتابة المقالة

وتدرَّب على جمع المواد لها وترتيبها ترتيباً منطقياً والتأليف فيما بينها ، وفي تحمّل المسؤولية فيما يعرضه من آراء وما يصل إليه من نقد ، وإن كنا لانطلب منه في هذا النوع من البحث أن يصل إلى اكتشاف مبتكر أو حقيقة ثابتة ، وإنما نطلب منه تفكيراً سليماً قويماً ، وأسلوباً متيناً رائعاً ، وتسلسلاً منطقياً ذكياً .

أما الرسالة أو الأطروحة فهي البحث المتصل الطويل الذي يتعهده الباحث ليكشف لنا عن حقيقة من الحقائق مدعومة بالبراهين والأسانيد ، والرسالة تسمية أكاديمية لما هو معروف بالفرنسية باسمThèse ، وإن كان لفظ أطروحة هو أكثر قرباً لمعنى اللفظة الفرنسية لأن طرح الفكرة أو الموضوع والبحث عن حقيقته هو مايرمي إليه كاتب الأطروحة.

على أن أكثر الجامعات العربية اصطلح على أن تكون تسمية الرسالة للبحث الذي يقدم للحصول على «الدبلوم» أو درجة «الماجستير» ، أما الأطروحة فإنها مصطلح للبحث الذي يقدم للحصول على درجة «دكتوراه الدولة» . والرسالة عادة أقصر من الأطروحة التي تتطلب دراسة أعمق وأطول .

وإذا كانت رسالة الدبلوم أو الماجستير تمد الطالب بتجارب وافية في البحث وتضيف جديداً للثقافة العالية فإن الأطروحة التي تقدّم لنيل شهادة دكتوراه الدولة يجب أن يكون الجديد فيها الذي يضاف للمعرفة الإنسانية أقوى وأكثر وضوحاً . ولهذا فهي تعتمد على مراجع أوسع وتحتاج إلى براعة في التحليل والاستنتاج ليغدو لك الأثر عملاً إبداعياً ممتازاً يستطيع الباحث فيما بعد أن يستقل

في نتاجه دون مشرف ليخرج أعمالاً علمية على مستوى رفيع .

والرسالة أو الأطروحة الناجحة يجب أن ترتكز على دعائم من أهمها :

أولاً :

القراءة الواسعة ، بحيث يلم الباحث بجميع ماكتب عن موضوعه من أبحاث مهمة ، عندها تكون النتائج التي وصل إليها محددة بناءً على قراءاته واستنتاجاته . ومن النقص أن يفاجأ الباحث ، وقد أنهى بحثه ، بمعلومات فاتته كان من الواجب أن يطلع عليها ، بحيث لو أنه اطلع عليها لغيّرت مجرى بحثه أو لأضافت إليه إضافات جديدة أو قادته إلى نتائج أخرى .

ثانياً :

فهم مايقرأ بدقة تامة ، فسوء الفهم لآراء الآخرين يوقع الطالب في أخطاء جسيمة .

ثالثاً :

عدم الأخذ بآراء الآخرين على أنها حقائق مسلم بها . فهناك كثير من الآراء الخاطئة ، وميزان النقد والتمحيص هو الكفيل ببيان الصحيح منها ، ولهذا كان عليه ألاّ يقرَّ رأياً إلا بعد دراسته ووضوح صحته .

رابعاً :

أن تكون أقواله مؤيدة بالبراهين والحجج ، وأسلوبه

قويّ التأثير في القارىء لحسن تنسيقه وترتيبه وتسلسله .

وعليه في كل هذا أن يكون واضحاً بعيداً عن التداخل والاضطراب فيما يكتب بحيث تتضح أفكاره وتجذب القارىء إليها .

ولايمكن تحقيق هذه الصفات في الأطروحة إلا إذا كان الباحث يتمتع بصفات خاصة تؤهله لتحمل مسؤولية البحث ، فما هي إذاً مؤهلات الباحث وصفاته؟

مؤهلات الباحث وصفاته :

لابد للباحث ، قبل كل شيء ، من أن يكون متمتعاً بصفات ثلاث :

١- الموهبة .
٢- الأخلاقية .
٣- العلم .

فالموهبة أمر هام في شخصية الباحث ، ليس كل إنسان بقادر على التصدي للبحث العلمي ، فالبحث العلمي صفة تمنح لبعض الناس ولاتمنح لجميعهم ، قد يستطيع طالب لم يؤتَ موهبةَ البحث أن يكتب رسالة ولكن يبقى ماكتبه باهتاً بعيداً عن العمق والجدارة ، شأنه في ذلك شأن كل إنسان يتصدَّى لعمل لم يوهب له . الموهبة أساس لكل إبداع ، وموهبة البحث العلمي أمرٌ آخر وصفة خاصة تعطى لبعض الناس وليس لجميع الناس .

فهناك من لديه الشوق للبحث عن الحقيقة ، وهناك من كان

بطبعه يرغب في ارتياد المكتبات وقراءة الكتب قراءة واعية تؤدي إلى التفكيرو البحث ، وهناك من أوتي المقدرة على تحليل مايقرأ ونقده والاستنتاج منه بدقة ووضوح وسلامة تفكير . ويجب أن نلاحظ أن ليس كل من ارتاد المكتبة وقرأ يمكن أن يكون باحثاً . ولكن هي الموهبة والمعرفة التي تعطي المرء كيف يقرأ وكيف يستفيد مما قرأ .

إذاً لايكفي للباحث أن يطلع على المادة التي يريد الكتابة حولها بل لايكفي جمعها وترتيبها ليستطيع بعدئذ أن يكتب رسالة قيّمة بل لابد من توافر الموهبة للبحث والمقدرة عليه ، فجمع المادة شيء وتفسيرها وتحليلها وإظهار مراميها شيء آخر ، وهذا هو الأمر الصعب والمهم في تهيئة الرسائل وإعدادها . لذلك كان على الباحث قبل كل شيء أن يكون صاحب موهبة تتجلى في قدرته على الاستقلال في فهم الحقائق وتفسيرها حتى يكون على المستوى المطلوب للمنهج العلمي الذي تتصف به كتابة الرسائل .

أما الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلَّى بها الباحث فأهمها الحياد الفكري ، والأمانة ، والصبر على العمل المستمر ، والتواضع ، وعدم القذف والمهاجمة لعلماء آخرين قد يكونون قد أخطأوا إلا بما يسمح به النقد النزيه البريء المترفع عن السباب والشتائم . كما يجب أن يكون قادراً على تحمل مسؤولية ما يقول لأنه لايصدر في أقواله عن هوى وإنما يصدر عن دراسة ونقد وتحميص .

أما العلم فهو الزاد الأساسي الذي يعين الباحث على التقدم

في بحثه والوصول إلى نتائج سليمة . يجب أن يكون الباحث على قدر رفيع من التمكن من اختصاصه ، فالضعيف الذي لايجيد اختصاصه ولايجيد قراءة المصادر وفهمها ، والعاجز عن التحرير والإنشاء بسهولة وصحة وجمال لايستطيع أن ينجح في تهيئة بحثه كما لايستطيع أن يجول في ميادين الكتابة وأحوالها . ويبقى مرتبكاً وهو يبحر في خضم الكشف عن المعرفة .

وهذه العلمية تقتضي أموراً منها :

أولاً : المقدرة في اللغة التي يكتب بها .

ثانياً : معرفة لغة أجنبية واحدة أو أكثر لتساعده على اطلاع أوسع ، وقراءة أكمل لما كتب حول موضوعه في غير لغته الأصلية .

ثالثاً : سعة الاطلاع وعمق التفكير .

رابعاً : تحري المصادر والسعي وراءها وتحمل المشاق في سبيلها .

خامساً : البحث عن المخطوطات وحسن قراءتها ومقابلة النسخ المتشابهة منها .

سادساً : القدرة على التحليل والنقد ومقارنة النصوص وفهم الأحداث والتبصر بما يصادفه من أمور .

سابعاً : حسن التنظيم والتنسيق والتبويب والبعد عن اللغو الذي لافائدة منه .

ثامناً : دعم آرائه بالسند والمرجع ، وعدم التسليم بآراء الآخرين مهما علت منزلتهم إلا بعد النقد والتمحيص والمناقشة .

تاسعاً : عدم إغفال أي دليل أو حجة لأنها لاتتفق ورأيه ومذهبه .

عاشراً : الاعتماد على الروايات والأسانيد والاقتباسات والتواريخ الصحيحة والإشارة إلى ماهو مشكوك في صحته .

تلك هي بعض صفات الباحث العالم ، وعليه فوق ذلك أن يكون بحثه ذا جاذبية مؤثرة ، نشعر معه أنه يقودنا إلى الحقيقة بالمنطق وبالعلم وبالتأثير ، وأنه ، إنْ جادل ، فإنما يجادل بالحق ولايماحك بالباطل ، كل هذا ونحن نلمح من وراء عبارته شخصيته وجاذبيته ، وندرك معه بالغبطة التي يشعر بها المكتشف ، وبالتأثير الذي ينحدر من إشراقة عبارة الأديب الأصيل .

الفصل الثاني

طرق البحث وخطته

١- اختيار الموضوع :

نشير ، قبل كل شيء ، إلى أن اختيار الموضوع في الأصل هو من مهمة الطالب ، وهو نفسه المسؤول عن اختياره ، ولكن على الأستاذ المشرف أن يأخذ بيده ويوجهه الوجهة الملائمة ويرشده إلى الظروف المحيطة بموضوعه ، فقد يكون موضوعاً لايستحق الدراسة وبذل الجهد فيه ، أو قد يكون موضوعاً مطروقاً ، أو يكون موضوعاً لايشكف عن حقيقة أو لايتلاءم مع ماتتطلبه الرسالة الجامعية من كشف وإبداع ، لذا يجب على الأستاذ المشرف أن يناقش الطالب في كل هذا وفيما اختاره من موضوع أو موضوعات لينتقي الصالح منها ، وقد يقترح عليه موضوعاً إذا ما وجد في ذلك فائدة .

ولاشك في أن اختيار الموضوع مهمة شاقة على الطالب ، فقد يظن في بادىء الأمر أن مايخطر على باله من موضوعات جدير بالبحث والدراسة أو أنه يرتبط باختصاصه ولكن سرعان ما يبدو له غير ذلك عندما يبدأ في البحث أو في المناقشة حول ماأختار مع أستاذه المشرف . وعلى الطالب أن يسأل نفسه ، وهو يختار موضوعه ، عدداً من الأسئلة فيقول : أيمكن لهذا الموضوع

الذي اخترت أن يكون موضوع رسالة؟ وهل يستحق بذل الجهد فيه؟ وهل هو في حدود طاقتي؟ بل هل أحبه وأميل إليه؟ أم أنني أساق إليه سوقاً لأنني إنما أرغب في الحصول على الشهادة أكثر مما أرغب في أن أقدم للناس أثراً يشفي رغبتي ويمد المعرفة بحقيقة جديدة؟

ويجدر بالطالب ألا يبحر في موضوعه إذا ماكانت الاجابة على هذه الأسئلة بالنفي .

بعد هذا لنعلم أن الموضوع قد يكون مفيداً وطريفاً ولكن مادته غير متوافرة ، في مثل هذه الحالة يحسن العزوف عنه لأنه لايسمح للطالب بالجولان ليجعل منه رسالة وإنما يكفي لكتابة مقال علمي حوله .

على أن هناك موضوعات قليلة المراجع والمصادر في الأصل ومادتها تكمن في ذاتها ، كأن يكون الموضوع بحثاً عن شاعر مغمور علينا أن نجمع ديوانه المبعثر هنا وهناك وأن نستنبط منه تاريخ حياته وخصائص شعره وعلاقته بعصره ، في مثل هذه الحال يكون الموضوع مفيداً ولكن البحث فيه يقتضي مقدرة وعمقاً تختلف عن تلك المقدرة التي يتطلبها الموضوع ذو المصادر والمراجع الكثيرة .

وعلى كل فالشيء المتعارف عليه في كتابة الرسائل أن يكون الموضوع المختار وافر المادة ، غنيَّ المصادر ، طريفاً جديداً ، يعالج مشكلة محدَّدة ، ويمدّ المعرفة بنور جديد .

هذا ولاشك في أن وجود مصادر معينة قد تقود الطالب أحياناً إلى اختيار موضوع معين ، فالحصول على مخطوطات نادرة لأديب أو شاعر أو لغوي لم تنشر بعد قد تقود الطالب إلى كتابة بحث حولها فينشرها نشراً علمياً ويقدّم لمؤلفها بمقدمة نقدية علمية وافية ، كما أن تكوين الطالب العلمي كثيراً مايدفعه إلى ألاّ يختار إلاّ مايلائم تكوينه ، فالطالب الذي يريد التخصص باللغويات أو اللسانيات لايُقْدِم على الكتابة في الأدبيات بل يجب ألاّ يُقْدِم على ذلك والعكس صحيح أيضاً .

هذا ويجب أيضاً ألاّ نتجاهل أبداً أن الطالب سيعيش موضوعه في فترة إعداده ، فعليه كما قلنا أن يكون محبّاً له مؤتلفاً مع نفسه ، وهذا الائتلاف وهذا الحب سيعطيانه دوماً زخماً نحو التحري والتقصي بل سيعطيانه هذه المتعة التي تنعكس على ما يكتب ، ونحن وإن كنا نطلب هذا التوافق بين ميل الطالب وموضوعه فإننا لانريد منه أن يكون متعصباً له تعصباً أعمى .

ولهذا كان عليه أن يكتب بعلمية وموضوعية عما يحبّ ، وعلى الطالب أن يدرك ذلك وألا يتغاضى عن دوافعه الشخصية وألا يُسدل الستار حول مايحبُّ ويرضى .

وعلى الأستاذ المشرف أن يفهم نفسية طالبه وألا يزجّه أحياناً فيما لايحبّ ، بل على الطالب نفسه أن يكشف عن نفسه ويصارح ذاته كما يصارح مُشرفَه ، وهذه المصارحة يجب أن تكون صحيحة واقعية دقيقة حتى يستطيع الطالب أن يصل إلى شاطىء الختام في عمله العلمي بنجاح وطمأنينة .

هذا ونحب أن نشير إلى أن كتابة الرسالة تختلف عن تأليف كتاب ، ففي الأولى أي في كتابة الرسالة نحن مقيدّون ، وفي الثانية أي في تأليف كتاب نحن أحرار بعض الشيء . بمعنى أننا نلزم الأسلوب العلمي والحكم الصائب والمرجع والسند في كتابة الرسالة الأكاديمية بينما قد نكتب كلَّ مايعنّ على فكرنا ونحن نؤلف كتاباً ما ، ونترك للناقد أن يحكم ويميز .

أما الرّسالة فيجب ألا تقدَّم للمناقشة إلا بعد أن يحكم المشرف بأنها استوفت الشروط العلمية المطلوبة التي سنتحدث عنها ، وما المناقشة في الواقع إلا نقدٌ هامشي ، وقد تكون نقداً صارماً ، وقد ترفض ، ولكن هذا مالا يقبله مشرف يحترم نفسه . وعليه ألاّ يوافق على تقديم بحث للمناقشة إذا لم يصل إلى درجة الكمال المطلوبة من الرسائل العلمية .

وعلى كلٍ ، إذا مابان للطالب والمشرف أن الموضوع الذي بدأ الطالب بدراسته غير جدير بالمتابعة يحسن عندئذ تبديله منذ البدء ، وهذا يظهر منذ الخطوات الأولى لبحث الطالب ، كأن يظهر له قلة المراجع ، أو يبدو أن الموضوع قد دُرس أو أنه لايستطيع التوغل فيه إلى غير ذلك مما كنا قد أشرنا إليه عند الكلام على اختيار الموضوع ، عندئذ من الأفضل أن يتوقف الطالب عن السير فيما اختار ، وأن يختار موضوعاً آخر أكثر ملاءمة ، غير آسف على الوقت والجهد اللذين قد يكون قد بذلهما في الموضوع الذي تركه .

ولكن يجب ألاّ يحدث ذلك إلاّ نادراً ، وعلينا ألا نُقْدِم على

السير فيما اخترناه إلا بعد بحثٍ واستقصاءٍ لجميع جوانب الموضوع من حيث ملاءمته ومصادره ونفعه وجدواه ، وهو ما كنّا قد أشرنا إليه .

٢- واجبات المشرف وواجبات الطالب :

إن الصلة بين الأستاذ والطالب تبدأ عادة قبل أن يُنتدب الأستاذ من قبل المعهد أو الكلية أو الجامعة ليكون مشرفاً على البحث الذي يعدّه الطالب ، والإشراف مهمة تترك إلى الأستاذ ، وقد يقبل الأستاذ الإشراف على عمل طالب ما ولايقبل الإشراف على عمل طالب آخر ، فله مطلق الحرية ومطلق السلطة ، وهو الذي يقرر عادة مدى قدرة الطالب على تحضير دبلوم للدراسات المعمقة أو رسالة للماجستير أو أطروحة للدكتوراه .

ويتوقف ، في بعض الجامعات ، قبول الطالب لتحضير الرسالة على نجاحه في امتحان يحدده له الأستاذ المشرف ، أو يجريه المعهد أو الكلية لهذه الغاية . وتشترط بعض الجامعات في الأستاذ المشرف أن يحمل لقب أستاذ أو أستاذ محاضر على الأقل ، بينما الجامعات البريطانية تكتفي في الاشراف بأن يكون الأستاذ المشرف على صلة علمية بموضوع البحث ، وتخصُّص عميق فيه ، دون اهتمام باللقب العلمي الذي يشغله في الجامعة التي ينتمي إليها ، ولهذا فهناك من هو بمرتبة مدرس ويشرف ، مع ذلك ، على الأبحاث العلمية المتصلة باختصاصه .

وصلة الأستاذ المشرف بالطالب ترتكز قبل كل شيء على

التقدير والمحبة ، ويمتزج بها اللطف بالحزم . ومن واجبات الأستاذ المشرف أن يناقش الطالب بصراحة فيما يعرض له من أمور ، ويهديه إلى وجهة الصواب ، ويرشده ويسدد خطاه ، ويبعث في نفسه الاطمئنان الذي يساعده على التقدم في بحثه . وعليه أن يتحلّى بالصبر وطول الأناة وسعة الصدر ، فلا يظهر التبرم من الطالب أو السخرية من عمله مهما جاء ناقصاً .

على أن المشرف يستطيع ، إن بدا له أنَّ تقدُّم الطالب في بحثه يكاد يكون مستحيلاً ، أن يعزف عن التعاون معه ، وفي هذه الحال يجب أن يكون الرفض لبقاً ، دون أن يجرح شعور الطالب أو يخمد من جذوة همته التي قد تظهر في موضوع آخر وعلى يد مشرف آخر . إن مثل هذا الإجراء لايلجأ إليه المشرف إلاّ إذا استعصى التعاون مع الطالب لسبب علمي أو نفسي ويكون الرفض عادة في أوائل البحث . . . ومع هذا فمهمة المشرف التربوية تقضي عليه أن يكون موقفه من طالبه مشجعاً دوماً حتى في حالات عدم التعاون .

هذا وإذا كانت نفسية الأستاذ المشرف تختلف من أستاذ لآخر ، وهذا شيء طبيعي ، إلاّ أن عليه أن ينظّم لكل طالب مقابلة نصف شهرية إن لم تكن أسبوعية . وعلى الأستاذ أن يحترم مواعيده ، وإذا تعذّر تحقيق الموعد المخصص في وقته لطارىء من الطوارىء أجّله إلى موعد آخر . وهذا مايجري عادةً في أكثر الجامعات الأوربية . ولايمكن للطالب أن يطرق باب الأستاذ على غير موعد ، وإن كان يجري مثل هذا في بعض جامعاتنا العربية ،

وهذا ما يزعج الأستاذ وإن كان لايبوح به دوماً .

والطالب الذي يقابل أستاذه من حين لآخر يستفيد جداً من خبرته وتوجيهه ، كما أن الأستاذ يدرك بهذه الوسيلة تقدّم الطالب في بحثه ، ويصبح على علم بدقائق عمله ، الأمر الذي يريح الأستاذ ويسهل عليه أمر مراجعة الرسالة بعد الانتهاء منها لأنه كان واقفاً عليها عارفاً بدقائقها وما كان أبداه من نقد وتوجيه وتصويب خلال إعدادها .

على أن من اللازم أن يفهم الطالب أنه هو وحده المسؤول الأول والأخير عن بحثه ، وأن أستاذه لايشاركه أية مسؤولية وليس عليه أن يظن أنه سيدافع عنه عند المناقشة ، بل سيكون واحداً من الممتحنين والمناقشين . والغريب ، في ما يجري أحياناً في بعض جامعاتنا ، أن بعض الأساتذة المشرفين كان يعتريهم شيء من الفتور عندما كان يوجّه للطالب لومٌ من قبل أحد الممتحنين في لجنة المناقشة .

والحق أن الرسالة يجب أن تكون مصبوغةً بروح الطالب لا بروح الأستاذ ، ولكنَّ هذا لايعفي الأستاذ من أن يكون حريصاً على أن تكون الرسالة التي يشرف عليها على درجة جيدة من العلم والصدق ، والتخطيط والتنهيج ، وأن نقصاً ما يشوب الرسالة قد تلحق بالمشرف ظلالٌ منه ولاسيما ما يتعلق بحسن منهجها ودقته وصوابه .

هذا وإذا كان على الأستاذ المشرف أن يكسب ثقة الطالب ويدفعه إلى بحثه بلذة وشغف ، كان على الطالب أيضاً أن يكون

على مستوى المسؤولية وأن يبذل الجهد في عمله وفي معالجة موضوعه . وقبل كل شيء يجب أن يكون لدى الطالب فكرةٌ واضحةٌ عن الموضوع الذي يتراءى له أنه يستطيع معالجته لا أن يُقْدم عليه وعيناه مغمضتان كأنه يسير في ظلمة أو في جو ضبابيّ . الوضوح كل الوضوح هو الذي نطلبه من الطالب . عليه أن يدرك ماذا يريد ، وكيف يجب أن يسير ، وماذا عليه أن يُقَدِّم .

قد لاتكون لديه كل الامكانات ، ولكنَّ لديه التصميم والرؤية الواضحة التي يتصورها والتي سيزيدها نوراً ما سيهتدي إليه في أثناء البحث .

لهذا كانت الفكرة الواضحة والهدف الواضح والخطة الواضحة هي أمور يجب أن يتسلح بها الطالب الباحث قبل أن يتقدم إلى المشرف . على الطالب أن يأتي إلى المشرف بأقدام راسخة وألاّ يأتي إليه وهو يقدِّم رجلاً ويؤخر أخرى . قد تكون معلوماته قليلةً حول الموضوع قبل أن يتقدم إلى مرشده ولكنه مع هذا عالم بالفكرة التي يريدها ، فعليه ألاّ يخاف من هذه المعلومات القليلة عن الموضوع الذي يتقدم للخوض فيه ، لأن المعرفة تزداد وتنمو بالمطالعات والقراءات والرغبة المستمرة في الزيادة . وهناك كثير من الطلاب قد بدؤوا موضوعاتهم بخوف ورهبة ولكنهم مالبثوا أن فتحت أمامهم الأبواب بعدما ولجوا في تجربة البحث العلمي وغاصوا في المصادر والمراجع التي عرفوا كيف يستقون منها ما يغني موضوعاتهم ، فشعروا عندئذ بلذة مابعدها لذة . حتى إذا ما انتهوا من بحثهم وجدناهم قد اكتسبوا الطريقة و المنهجية التي

لاتُنسى أبداً والتي ستلازمهم مدى الحياة وسيطبقونها على كل ما سيكتبون ويؤلفون . تلك هي حقيقة راسخة فتحضير الرسالة هو الأثر العلمي الأول الذي سيلازمنا في المستقبل وسيطبع نتاجنا العلمي بالطريقة والمنهجية .

قد ننسى ما تعملناه في المدرسة أو الجامعة ولكننا لاننسي أبداً الطريقة التي استخدمناها في كتابة رسالتنا الجامعية الأولى والتي ستكون سلاحنا في سيرنا العلمي المقبل وفي كل ما سنكتبه ونؤلفه .

هذا وبعد أن يختار الطالب موضوعه برغبة واهتمام يبقى على صلة بالمرشد كما ذكرنا ، ويحافظ هو بدوره على مواعيده معه ، ويقدِّم له اقتراح التخطيط ، ويطلعه على نتيجة أبحاثه وقراءاته من حين لآخر .

على أن المرشدين ليسوا جميعاً متساوين في أساليبهم وطرقهم ، فهم يختلفون في مناهجهم بتتبعهم أعمال الطالب ، فمنهم من يقرأ ما يكتبه الطالب فصلاً فصلاً ومنهم من يقرأ العمل مسودةً كاملة . ونحن نفضل ، بعد أن ينتهي الطالب من الاستعدادات الأولى وجمع المعلومات ، أن يقدّم ما يكتب فصلاً فصلاً أو مجموعة فصول متصلة أو باباً باباً ليقرأها المرشد ويبدي ملاحظاته حولها . وعلى الطالب أن يتلقى النقد بصدر رحب ويسعى لتحسين خطته وتقصّي حقائق البحث محترماً قواعد المناقشة البناءة . وفي كل هذا على الطالب أن يتذكر دوماً أنه

المسؤول الوحيد عن بحثه ، وما دور المشرف سوى التوجيه والإرشاد وإسداء النصح والنقد النزيه .

٣- خطة البحث :

إذا كان من الواجب أن يكون لكل موضوع ، مهما صغر ، خطة واضحة المعالم فمن المؤكد أن يكون للرسالة الجامعية خطة واضحة . والخطة تختلف من رسالة إلى أخرى في خطوطها التفصيلية تبعاً للموضوع ولنوع المادة وللمدة المحددة للبحث ولغير هذه من المؤثرات التي تتصل بالظروف المختلفة التي تحيط بكل موضوع .

على أن كل خطة لا بد أن تحتوي على مقدمة وصلب البحث أو جسم البحث وخاتمة .

أما المقدمة فتكون عادة تحديداً للموضوع وعرضاً مختصراً له مع بيان أهميته ومظاهره ووصف ما اعتمد عليه الباحث من مصادر ومراجع هامة مع إشارة إلى البحوث السابقة في الموضوع ذاته وذكر للصعاب التي اعترضته .

بعد هذا يأتي صلب الموضوع الذي يحتوي على أبواب الرسالة أو أقسامها وعلى فصولها . فالأبواب أو الأقسام تضم المشكلات الرئيسية من البحث . أما الفصول فتشمل المشكلات الفرعية التي تشرح بعض المشكلات الرئيسة . وهذا القسم من الرسالة - أي صلب الرسالة - هو الذي يشرح أفكار الرسالة ومعضلاتها ، فيجب أن يكون العرض فيه محكماً متسلسلاً بحيث

تكون الأبواب والفصول منسجمة في تسلسلها ، ومتوازنة في حجمها ومتفقة مع ما يرمي إليه الموضوع ومع ما يسعى إلى إثباته أو اكتشافه وإلى ما يقدمه من نتائج منطقية .

ثم تأتي **الخاتمة** وهي تلخص ما تقدَّم في جسم البحث وتجمل النتائج التي توصّل إليها الباحث . وعليه أن يبتعد عن التكرار ويكتفي بإبراز الهدف الذي سعى وراءه وناقشه في جسم بحثه مع ذكرٍ للنتائج بوضوح .

ذلك هو الهيكل العام للرسالة ، ولكن هذا الهيكل ليس بالخطة ، فالخطة هي التي تشمل التفصيلات التي سيتعرض لها الباحث في رسالته ، ولهذا كان لابد من بذل العناية في إعدادها .

وهناك **خطة أولية** يُعدُّها الباحث بعد أن يكون قد كوّن فكرة واضحة بعض الوضوح عن موضوعه ، **وخطةٌ نهائية مفصلة** يعدّها الباحث ويعدّلها كلمّا تقدم في بحثه ، وهاتان الخطتان الأولية والنهائية لايمكن إعدادهما إلاّ بعد أن يكون الطالب قد قام ببعض القراءات حول موضوعه وراجع عدداً من المصادر واطلع على بعض الرسائل التي أُعدت في موضوعات مماثلة لاختصاصه . فالقراءات تنير له الطريق وتمدّه بالمعلومات ، والاطلاع على الرسائل الناجحة التي أعدّها بعض الطلاب لنيل درجات مماثلة في اختصاصات مشابهة لاختصاصه يفيده في إعداد خطة رسالته ، وقد تمدّه هذه الرسائل بالمعلومات العلمية أيضاً إذا كانت لها صلة وثيقة بموضوعه . ومع هذا ، على الطالب ألاّ يظن أن كل رسالة نجح صاحبها بها يمكن أن تكون نموذجاً يحتذى ، فهناك عدد

من الرسائل العادية أو الرديئة يجدر بالطالب أن يبتعد عن أن يتخذها نموذجاً يمكن احتذاؤه .

فالخطة الأولية تشتمل على مايلي :

١- عنوان الرسالة ويجب أن يكون مختصراً واضحاً جذاباً مرتبطاً بالموضوع ، وعلينا أن نبتعد عن العناوين العامة مثل قولنا : «التيارات الأدبية المعاصرة» ، أو «أغراض الشعر الجاهلي» فإن مثل هذه العناوين لاتصلح أصلاً لموضوع رسالة أكاديمية .

٢- الخطوط العريضة التي يشملها كل من المقدمة وجسم البحث والنتيجة .

أما الخطة النهائية فهي تفريع وتفصيل لكل المشكلات الرئيسة والفرعية للبحث بحسب هيكل الرسالة .

ففي المقدمة نبين بعبارات قصيرة وأسلوب أشبه ما يكون بأسلوب البرقيات لنشير إلى ما يمكن أن تضمه .

وفي جسم البحث نحدد الأبواب والفصول بعناوين قصيرة ثم ندّون جزئيات كل فصل بأسلوبنا السريع . ملاحظين أن تكون الأبواب والفصول مرتبةً ترتيباً منطقياً وعلى أساس سليم ، كالترتيب الزمني مثلاً أو بحسب الأهمية ، وأن يكون بينها اتصال يخدم موضوع الرسالة حتى لايكون هناك انقطاع بين الفصول . وحتى لا تقحم إقحاما ، ويحسن أن يختم كل فصل بخاتمة جزئية موضحة لأهم نقاط الفصل .

وفي الخاتمة تدرج النتائج التي وصل إليها الباحث بعد إيجاز قصير لأهم نقاط الرسالة .

الفصل الثالث

إعداد البطاقات وجمع المعلومات

١- إعداد البطاقات والإضبارات الناظمة أو الملفات :

البطاقات أو الجذاذات أو مايسمى بالفرنسية Les fiches تصنع غالباً من الورق المقوّى بطول أربعة عشر سنتمتراً وعرض عشرة سنتمترات تقريباً ، ويمكن للطالب أن يصنعها من الورق العادي بنفسه بغية الاقتصاد وإن كان يصعب استعمالها في هذه الحالة . ويجب أن تكون متساوية الحجم ، وتدوَّن الكتابة على عرض الورقة وعلى وجه واحد . وتستخدم في تدوين المصادر والمراجع أو الفهرسة . كما تستخدم في جمع المعلومات أو ما يسمّى بـ «التقميش» .

أما الإضبارات الناظمة أو الملفات أو مايسمّى بالفرنسية Les classeurs ، فهي عبارة عن غلاف من الكرتون ذي كعب يحتوي على حلقتين يمكن فتحهما وإغلاقهما لتضم أوراقاً مثقوبة توضع في هاتين الحلقتين . وأوراق هذه الاضبارات الناظمة لايحسن استعمالها إلاّ في جمع المعلومات ، أما من أجل تدوين المصادر

والمراجع أو الفهرسة فنفضل استعمال البطاقات لسهولة ترتيبها وصغر حجمها .

ونحن لانوصي باستعمال الكراسات وما شابهها في تدوين ما جمعناه من معلومات لأننا لانستطيع أن نتحكم في ترتيب الصفحات وتغييرها كلما عثرنا على مادة جديدة . وإنما نوصي باستعمال البطاقات أو باستخدام الاضبارات الناظمة لأن من الممكن ، في كل وقت ، أن نضيف بطاقةً إلى البطاقات أو ورقةً إلى مجموع أوراق الإضبارة أو الملف ونغيّر في ترتيبها كلما عثرنا على مصدر أو أثبتنا رأياً أو اقتباساً يتصل بموضوعنا . وهذا مالا نستطيع أن نفعله لو كنا نقوم بتدوين المصادر والمعلومات على كراسات ثابتة الأوراق .

والآن كيف تدوّن المصادر والمراجع؟

بعد أن يكون الطالب قد وضع الخطة الأولية لرسالته وقام بقراءاته الأولى يبدأ أولاً بتدوين المصادر أو أكثر المصادر . وإعداد المصادر والمراجع أمر هام وأساسي في الدراسات العليا ويجب أن يعيره الطالب جلَّ اهتمامه .

ونحن نفرّق بين المصدر والمرجع وإن كان كلٌّ منهما مهماً وضرورياً للباحث . والمصدر هو مايسمى بالفرنسية Source ، وهو مرجع أساسي ، أما المرجع فتقابله بالفرنسية كلمة Référence ، وهو ما يمكن أن نعدَّه مرجعاً تابعاً . فديوان ابن الرومي بالنسبة لبحث عن ابن الرومي هو مصدر ، أما كتاب العقّاد «ابن الرومي حياته من شعره» فهو مرجع ولكنه مرجع مهمّ.

وإذا كانت القراءات الأولى هي خير ما يقود الباحث إلى إعداد المصادر والمراجع ، ففي أي مصدر يبدأ بالقراءة؟

ولعل من المستحسن أن يبدأ الطالب أولاً بقراءة ماكتب عن موضوعه في الموسوعات وفي كتب البيبليوغرافيا (Bibliographie) ، فمثلاً يمكن أن يراجع الموسوعة الإسلامية (Enc.de l'Islam) كما يمكن أن يراجع أيضاً كتاب « تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان . وخير ما في هذا الكتاب الأخير أنه كتاب بيبليوغرافيا مهم. كما تراجع كتب التراجم مثل كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان وكتب الطبقات والأخبار وما شابهها ، وكتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي وكتاب «معجم المؤلفين » لعمر كحالة . كل ذلك ليهتدي الباحث إلى المراجع التي دُوِّنت في هذه الكتب وما شابهها ، ثم يتحرَّى بعد ذلك كتب الدراسات المختلفة التي كتبها مؤلفون حول موضوعه أو حول مايحيط بموضوعه . ومن الطبيعي ألا ننسى أبداً ، وقبل كل شيء ، قراءة كتب المؤلف نفسه الذي نتناوله بالدراسة .

وعلى الطالب أيضاً أن يعود إلى الدوريات من مجلات وصحف ، وإلى كل مايتصل بالمكتبات وفهارسها ، ويقوم بالاتصالات الشخصية إن كان موضوعه ذا مساس بأشخاص لايزالون أحياء أو بأقربائهم الأحياء . . . .

وفي كل هذا يدوّن الباحث مصادره على قوائم استعداداً لتوزيعها على البطاقات . وسيلاحظ الطالب أنه قد بدأ بعشرة مراجع فإذا به قد انتهى إلى مائة مرجع ، كما سيلاحظ أن بعض

المراجع يتصل بموضوع الرسالة اتصالاً عاماً ، وبعضها يتصل بباب من أبواب رسالته ، وبعضها بفصل من فصولها ، فليوزع هذه الكتب بحسب اتصالها على قوائم مختلفة لا أن يجملها في قائمة واحدة . ثم يوزع كلاً منها فيما بعد على بطاقة خاصة .

ولكن كيف يدوّن المصدر أو المرجع على البطاقة؟ هذا ما سنبينه باختصار :

١- من أجل الكتب : نكتب في رأس البطاقة على يمينها كنية المؤلف (المشهورة والمعروف بها) ثم نكتب اسمه . ثم نذكر بعده اسم الكتاب والجزء أو عدد الأجزاء ، ورقم الطبعة ، واسم الناشر ، ومكان الطبع وسنة الطبع . وقد نشير إلى عدد صفحات الكتاب .

وفي أسفل البطاقة ، على يسارها ، يضع الباحث اسم المكتبة ورقم الكتاب في هذه المكتبة ليسهل الرجوع إليه أو استعارته . أما إذا كان الكتاب خاصاً فيكتب في أسفل البطاقة كلمة «خاص» . ونشير ضمن البطاقة من جهة اليمين إلى بعض المعلومات السريعة التي تدل على ما يمكن للكتاب أن يمدّه من معلومات للرسالة كأن نذكر مثلاً : في الفصل الخامس منه أو في ص كذا . . .إشارة إلى ناحية كذا من الموضوع .

وإليكم بعض النماذج عن تدوين هذه البطاقات :

التنوخي (عز الدين) : إحياء العروض ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٤٦

معلومات : . . . . . .

. . . . . .

«خاص» .

المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، بولاق ١٠٧٩هـ . أعاد نشره في عشرة مجلدات محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ ، وإحسان عباس في ثماني مجلدات ، بيروت ١٩٦٨ .

معلومات . . . الجزء كذا يبحث في . . .

طبعة محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الأسد بدمشق ، رقم . . .

طبعة إحسان عباس ، مكتبة الأسد بدمشق ، رقم . . .

٢- أما المخطوطات : فتذكر أيضاً على بطاقات ، يذكر اسم المؤلف وعنوان المخطوطة ، ثم اسم المكان الذي توجد فيه ،

واسم المكتبة ورقم المخطوطة . ويحسن أن نذكر بعض الإشارات والأوصاف عن المخطوطة من حيث تمامها وخطها وسنة كتابتها و . . .

٣- أما من أجل المقالات والدراسات الموجودة في المجلات ، فيذكر اسم المؤلف بالطريقة نفسها المتبعة في تدوين الكتب ، ثم يدوّن عنوان المقالة ثم يذكر اسم المجلة التي توجد فيها المقالة أو الدراسة مع الإشارة إلى رقم العدد والسنة ومكان الطبع أو النشر .

ولانطيل الحديث عن تدوين المصادر والمراجع وإنما يمكن العودة إلى الكتب المنشورة نشراً علمياً أو إلى بعض الرسائل الموثّقة توثيقاً صحيحاً لنحتذي الأساليب المتبعة فيها في تدوين المصادر والمراجع . والمهم في كل هذا أن يكون هناك ترتيب منطقي وتنظيم متبع دون عشوائية .

ولا يغيب عن البال أن ما أثبتناه على البطاقات نثبته أبجدياً وبالطريقة ذاتها في نهاية الرسالة في ثبت المصادر والمراجع ، على أن يكون لكل من المراجع العربية المطبوعة والمخطوطات والمجلات والدوريات ثبت خاص ، وللمراجع الأجنبية ثبت آخر ، وعلى ألاّ نذكر في ثبت المصادر والمراجع إلاّ الكتب التي عدنا إليها حقاً واعتمدنا عليها في بحثنا .

٢- جمع المعلومات وتدوينها «التقميش» :

بعد أن يكون الباحث قد أعدَّ مصادره ومراجعه ودوّنها على البطاقات أو دوّن أكثرها بالطريقة العلمية التي أشرنا إليها ، يعمد إلى القراءة النقدية الباحثة التحليلية ، ويجمع منها ما اتصل بموضوعه من قريب أو بعيد ويوزعها بحسب الأبواب والفصول أو بحسب جزئيات الرسالة على البطاقات أو على الأوراق المنفصلة التي تضمها الإضبارات الناظمة ، وهذه الخطوة ، خطوة جمع المواد والمعلومات ، هي من الخطوات الأولى الأساسية التي يعمد إليها الباحث في الإعداد لكتابة الرسالة . وهي ما أطلق عليها بعض المؤلفين ، ومنهم الدكتوره ثريا عبد الفتاح ملحس ، لفظة «التقميش» ، ومعناها جمع الشيء من هنا وههنا .

وعلى الطالب عندما يجمع معلوماته ألا يهمل أو يسقط تدوين أيّ شيء له مساس بموضوعه لأنه إذا ترك تدوين بعض المادة وهو يقرأ ثم وجد أن لها لزوماً فيما بعد فإنه يضيع وقتاً ثميناً في العثور عليها في مظانها ، لكنه من السهل عليه أن يسقط ما لايحتاج إليه وهو يدوّن رسالته مما يجده عديم الفائدة أو قليلها . وكثير من المؤلفين يهملون أشياء كثيرة كانوا قد جمعوها ، وعليهم أن يهملوا مالا فائدة منه وألاّ يحشوا رسائلهم بأشياء تافهة لافائدة منها ، بل لعّل عملية الانتقاء وحسن الاقتباس والاستشهاد من أهم مايعمد إليه المؤلف في أثناء كتابة رسالته كما سنشير إلى ذلك . وهناك رسائل كثيرة تضخمت بالجمع والنقل فكان ذلك وبالاً عليها وعلى صاحبها .

والطالب ، عندنا ، يقرأ في داره أكثر مما يقرأ في المكتبات ، وفي أكثر الجامعات الغربية يتوافر في مكتباتها الجو الهادىء للباحث ، فهناك حجرات خاصة بالباحثين ، له فيها مكان خاص ، أشبه شيء بمحراب العالِم ، تقدَّم إليه الكتب وتبقى أمامه أياماً حتى إذا ما عاد إلى محرابه في اليوم الثاني وجَدَها أمامه ، في مكانه المخصص له ، وحوله رفوف المكتبة التي تحتوي على المعاجم والفهارس والموسوعات وكتب التراجم والدوريات وغير ذلك من الكتب التي يحتاجها بشكل متواصل . وهكذا يتوافر له جو هادىء مريح يسهل عليه فيه تناول الكتب والقراءة السريعة حيناً والعميقة حيناً آخر . لأن الباحث قد يضطر إلى أن يبدأ بتصفح كتاب ما فينظر في فهرسه حتى إذا ما عثر على ما يهم موضوعه وضع ورقة في المكان المطلوب ثم عاد إليه فقرأه قراءة واعية . إن مثل هذا النوع من القراءة لا يمكن أن يجري إلاّ في المكتبة حيث توجد المراجع الكثيرة والكتب المختلفة التي يصعب على الطالب الحصول عليها في داره . وقد يقضي الطالب أحياناً ساعات وساعات في المكتبة بل أياماً متصلة ، وقد يعوزه تسلسل القراءة ألا يغادر المكتبة طوال النهار إلاّ في وقت الطعام ظهراً ، وفي هذه الحال ينزل إلى مطعم المكتبة ـ كما هو الشأن في المكتبة الوطنية بباريس ـ فيأكل ويرتاح قليلاً ثم يعود إلى محرابه ليواصل قراءاته وبحثه ، فيجد العون كل العون من قيِّم المكتبة وعمّالها الذين يقدِّمون له مايحتاج إليه من المراجع والمصادر بصدر رحب لأنه يعلمون إنما يقضي وقته خدمةً للمعرفة والبحث .

وقد أصبح اليوم في بعض جامعاتنا ومكتباتنا العربية الكبيرة ، ومنها مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ، مثل هذا الجو المريح للباحث حيث أفردت له حجرات خاصة يستطيع فيها أن يتابع بحثه ويجد ضالته ومراجعه في جوّ هادىء مريح .

أما طريقة تدوين المعلومات أي تدوين التقميش فتختلف باختلاف الباحثين واختلاف طبيعة البحث ، ولكن هناك أصول مشتركة يمكن الاشارة إليها وهي :

١- على الباحث أن يتذكر دوماً خطة البحث الأولية أو المؤقتة وهو يقرأ من أجل جمع المعلومات لتكون قراءاته منسجمة مع موضوعه .

وقد تقوده هذه القراءات إلى إعادة النظر في تبويب الرسالة وفي شكل الخطة النهائية التي ترتسم مع إعداد الموضوع .

٢- يضع الباحث على البطاقة عنواناً ينسجم مع نقاط الموضوع وتفرعاته ، فهناك بطاقات مثلاً تهتم بحياة الشاعر فيضع هذا العنوان في رأس البطاقة كلما وجد نقطة تتصل بحياة الشاعر أو بمولده أو وفاته أو غير ذلك مما يتصل بهذه النقطة . ثم ينقل الاقتباس أو الرأي المتعلق بهذا الأمر . وفي أسفل الاقتباس يذكر المرجع واسم مؤلفه والصفحة والطبعة ومكانها . وهكذا يتكوَّن عدد من البطاقات تتصل كلها بحياة الشاعر ـ إذا كان الموضوع بحثاً في شاعر أو كاتب أو أديب ما ـ ثم هناك بطاقات أخرى تتعلق بأغراضه أو بأسلوبه أو بقيمِ فنية حول نتاجه ، وفي كل هذه البطاقات أو الأوراق المنفصلة يجب أن نشير ، فى نهايتها ، إلى

المصدر أو المرجع الذي أخذنا منه تلك الاقتباسات كما ذكرنا .

وطريقة تدوين الاقتباسات أو المعلوماتإما تكون بالنقل الحرفي عندها يجب أن توضع بين علامتي التنصيص ، وهما شولتان مزدوجتان ، أو بطريقة الاختصار فيجب أن يشار عندئذ إلى ذلك في الهامش بذكر عبارة «مختصر عن المرجع كذا» ، وقد يردف الباحث بعض التعليقات الخاطفة التي ترد على ذاكرته في الحال فلا بأس من تدوينها مع الإشارة إلى أنها من تعليقاته . ولهذا فنحن في هذه الحال نفضّل أن تكون الاقتباسات والمعلومات مدوّنة على الأوراق المنفصلة التي تضمها الإضبارات الجامعة ، وأن ترتّب بشكل زمرٍ في الإضبارة الواحدة أو الإضبارات . على أن تضم كل زمرة ناحيةً واحدة من نواحي الموضوع ، كأن تكون هناك زمرة لحياة الشاعر وأخرى لأغراضه وأخرى لأسلوبه ، وأن تكون هناك زمرةٌ من الأوراق للعوامل المؤثرة في أدب أديب ما أو حركة شعرية ، وأخرى لمصادر الأديب ، وأخرى لآراء الأدباء فيه وهكذا . . . المهم من كل ذلك أن يكون هناك ترتيب ما يلجأ إليه الباحث في عناوين بطاقاته وأوراقه المنفصلة ليسهل جمعها في زمرٍ متقاربة . وقد فضّلنا الأوراق المنفصلة في جمع المعلومات على البطاقات لكونها تتسع لتدوين أوسع مما تسمح به البطاقات ، لهذا يمكن الاعتماد على البطاقات فقط في تدوين المصادر والمراجع وفي تدوين المعلومات القصيرة . وقد أوردت الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس في كتابها «منهج البحوث العلمية» نماذج للبطاقات في تدوين التقميش يمكن الرجوع إليها . وهذا الكتاب مفيد في إعداد

الرسائل الجامعية وقد استفدنا منه كما استفدنا أيضاً من كتاب الدكتور أحمد شلبي الذي يحمل عنوان «كيف نكتب بحثاً أو رسالة» وننصح الطلاب بالرجوع إليهما .

ولاأزعم أن كتاباً ما في كيفية إعداد الرسائل الجامعية يمكن أن يغني عما يجب أن يتمتع به الباحث نفسه من طريقة و أصالة ، وغزارة مادة وعمق تفكير فيما يتصدى له من أبحاث .

فالمنهجية المستندة إلى المعرفة والمقدرة والأصالة تقود البحث إلى الجودة والغنى أكثر مما يقوده التنظيم الشكلي الذي لابدَّ منه ، مع ذلك ، في جميع الأحوال .

هذا ولابدّ لنا في التدوين عند جمع المعلومات ، وفي التدوين عند كتابة الرسائل وتحريرها ، من استعمال إشارات النقط والترقيم والهوامش والفقرات ، ليكون ما نكتب بارزاً واضحاً يقتضي أساليب الكتابة الصحيحة ، فالمعلومات الجديدة يجب أن تبدأ بها فقرة جديدة ، كما أن إشارات الوقف يجب أن تستعمل في مكانها الملائم ، من نقطة ، وفصلة ، وفصلة منقوطة ، ونقطتين ، وتعجب واستفهام ، وقوسين هكذا ( ) يوضعان حول الأرقام أو حول الأسماء الأجنبية التي وردت في النص . أما القوسان المركّنان [ ] فيوضعان حول كل زيادة في الاقتباس الحرفي ، أو حول كل زيادة في المخطوط المعتمد مما يضيفه المؤلف أو يصححه أو يجده في مخطوط آخر ، وفي هذه الحال يجب أن يشير في الهامش إلى مكان الزيادة من المخطوط الآخر .

والشولتان المزدوجتان «» - أي علامات التنصيص - توضعان

حول الاقتباس الحرفي كما ذكرنا ، كما توضعان في مابعد القول ، وحول عناوين الكتب أو الدراسات أو القصائد لإظهارها . والشَّرْطة أو الشرطتان هكذا :(ـ ـ) توضعان للجمل المعترضة ، وقد تقوم الفصلة مقامهما . وتوضع الشَّرْطة بعد الأرقام أو الحروف ، وتفيد في كتابة الحوار في القصص والروايات لبيان المتكلم وغير ذلك عند ذكرها في أمكنتها الملائمة من التآليف المختلفة . والنقط الأفقية (. . .) التي تدل على الحذف أو تدل على استمرار الحديث في ما يشابهه من القول ، أو كلمة إلخ بعدها عدد من النقاط ، كل هذه الإشارات الوقفية التي اعتمدتها لغتنا العربية تزيد في كتابة النص وضوحاً وجمالاً ، ولكن بشرط أن توضع في موضعها ،وعلى ألا تُستعمل إشارات لامكان لها كما يعمد بعض الذين يعبّرون عن ضيق أفكارهم بنقاط لا محل لها من الإعراب!

الفصل الرابع

كتابة الرسالة ـ التحرير

هاهوذا الباحث أمام مادة جمعها وخطة مؤقتة أعدَّها ، وهاهوذا قد أنهى قراءة المراجع أو قراءة أكثرها ودوَّن ما يهمه منها على البطاقات وعلى أوراق الملفات الجامعة ، وقام بعملية الفرز والتصنيف بحسب الأفكار والموضوعات ، ورتّب كلّ ذلك ترتيباً منظماً بحسب الخطة العلمية في الجمع والفرز وبحسب التصوّر والخطة المبدئية التي أعدّها لبحثه . فماذا يصنع الآن؟ إنه أمام عملية جديدة مهمة وأساسية هي عملية الكتابة والتدوين ، أو مايسمى بعملية التحريرRédaction .

إن المرحلة السابقة ، وهي مرحلة جمع المعلومات أو التقميش ، قد لايتفاوت فيها الكثيرون تفاوتاً يُذكر ، وإن كان لذكاء الطالب وقوة معرفته العلمية أثرٌ في إنهاء تلك المرحلة بشكل جيد ، أما هذه المرحلة الجديدة ، مرحلة التدوين والكتابة ، ففيها تبرزشخصية الطالب وذاتيته ، وفيها يقوم بعملية الاختيار من المادة المجموعة وترتيب ما اختار ثم كتابته ، ولا ينكر ما في هذا من صعوبة وما يتطلبه من دراية ومقدرة وحسن تأليف وتنسيق .

هذا وسيجد الطالب أن ليس من الممكن أن يدوّن كل ما جمع ، بل ليس من المرغوب فيه أن يدوّن كل ما جمع ، فعليه أن يطرح مالاعلاقة له بموضوعه أو مايكتشف أنه ليس له فائدة في بحثه ، وعلى هذا فالطالب يقوم هنا بتقويم بضاعته التي حصل عليها ، وكلّما كان الطالب حاذقاً عارفاً بما يفيد موضوعه ، مدركاً لدقة المعلومات وجدتها ، متمكناً من حسن التأليف والكتابة ، استطاع أن يعطي لهذه المعلومات قيمة ويعرضها عرضاً جديداً بل يؤلف فيما بينها تأليفاً نستطيع من خلاله أن ندرك الجدة والطرافة وحسن التقدير والتقويم .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الطالب يشعر غالباً ببعض الصعوبة في طرح بعض ما جمع من مادة مما لايفيد رسالته ، لأنه بعد أن بذل جهداً ولاقى عناءً في جمعها يجد نفسه ضنيناً بطرحها ، ولكن من الخطأ الفادح أن نحشر في الرسالة ماليس له صلة في الموضوع أو ماليس يغني الرسالة أو يفيدها في شيء . لهذا فحشر المادة الزائدة في الرسالة يسيء إليها ويقلل من شأنها وقد أشرنا إلى ذلك وقلنا إن من الخير ألا يتردد في طرح مالا فائدة منه . وليتذكر أن ماجمعه قد يستفيد منه في أبحاث أخرى وأنه قد أمدّه بمعلومات زادت في معرفته وأغنتها ، فعليه ألا يأسف على مابذله من جهد فقد أفاده من حيث لايدري بل ربما سيعود إليه في دراسات مقبلة .

والخطة العملية للكتابة هي أن يضع أمامه البطاقات أو الأوراق المنفصلة التي بها مادة الفصل الذي يريد الكتابة فيه ، ثم يقرؤها

قراءة ثانية ويمعن التفكير فيها ويختار منها ما يلائم ما انساب على عقله وفكره من أفكار ويبدأ بالكتابة بحسب ما اقترحه من خطة وما انتظم في مخيلته من أفكار ، وهنا يقارن ويوازن بين النص والنص ، ويتدخل حين يجب التدخل ، ويبدي رأيه ثم ينساب في أفكاره فينشىء معتمداً على النصوص والمراجع ، وعلى إبداعه الذاتي أيضاً ، وفي كل هذا تبرز شخصية الطالب ويلعب أسلوبه وتلعب مقدرته الكتابية دوراً أساسياً ، ولنلاحظ أنه يجب هنا أن يبتعد عن الأسلوب الانشائي الخطابي وإنما يعتمد في ذلك على الأسلوب العلمي الرصين ، المقيد بالسند والدليل ، والمدعوم بالفهم العميق . أما صحة الأسلوب وجماله وانسياب العبارة فهي أمور لازمة تضفي على الكتابة روعة وجمالاً وتميز بين كاتب وآخر ، ويجب أن يكون الأسلوب في كل هذا صحيحاً جميلاً كما أشرنا .

وليدرك الطالب أنه مسؤول عن كل مايرد في رسالته ولا يعفيه من المسؤولية أن يكون ما أورده مأخوذاً عن شخص آخر ذي مكانة علمية مرموقة بل عليه ألاّ ينقل إلاّ ما اطمأنت إليه نفسه ، وأن يناقش ما ينقل إذا كان هناك مجال للمناقشة . وعلى كل حال فأقوال الآخرين يجب أن توضع بين شولتين مزدوجتين أي علامتي التنصيص وإن يشار إلى المصدر في الهامش ، أما ما يورده من تعليق أو تدوين فيجب أن يكون دوماً من إبداعه الشخصي ، كما يجب أن يكون هو الطاغي المسيطر على الرسالة .

وكنا أوردنا أن الرسالة تتألف من أبواب أو أقسام ، وأن كل

باب أو قسم يتألف من فصول ، وعلى هذا يستطيع الطالب أن يقدّم لفصله بعرض موجز يبين ما سيتعرض له من نهج إذا كان هناك داع لمثل هذا التقديم ثم يختتم الباب بعرض موجز للنتائج التي وصل إليها في الفصول التي ضمها الباب الذي هو بصدده كما يجب أن يكون هناك ربط بين الفصل والفصل وبين الباب والباب .

وعليه أن يكون صريحاً فيما يعرض من نتائج إذا اعتقد أن ما وصل إليه لايعتريه الشك لا من خلفه ولا من قدّامه ، أما إذا كان هناك شك أو ارتياب فعليه أن يبيّن شكّه وارتيابه ، وألا يتردد في بيان أن ماوصل إليه لايزال يحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي ، وذلك في ضوء ما قد سيظهر من مادة جديدة في الموضوع المطروق .

ونوصي الطالب بأن يبتعد عن الاستطراد بكل أنواعه ، سواء أكان هذا الاستطراد بإضافة باب ليس له صلة وثيقة بموضوع الرسالة ، أم بوضع فصل في باب ليس له صلة وثيقة بالباب ذاته أو بغيره من فصول الرسالة أو موضوعها .

والاستطراد الآخر الذي يجب أن يتجنبه الطالب هو ذلك الاستطراد الذي يأتي في ثنايا الأسلوب فتتداخل الفقرات ، ونرى الكاتب يقفز من فكرة إلى أخرى دون سياق أو انتظام أو دون تلبية لهدف مقصود . إن أمثال هذه الاستطرادات تفكك الموضوع وتذهب وحدته وانسجامه وتحدث في نفس القارىء قلقاً وارتباكاً يسيئان إلى الرسالة ويجعلانها لاتبعث على الارتياح ولاتدلّ على

التركيز والانسجام والدقة ، وهي صفات لابد إلا أن تتوافر في الرسالة الأكاديمية .

وعلى الطالب أن يستخدم في إنشاء رسالته أوراقاً منفصلة كبيرة ،ويحسن أن تكون مسطرة ، تحتوي على هامش كبير على الجانب الأيمن ، فيكتب على سطر ويترك سطراً أو أكثر وتكون الكتابة على وجه واحد من الورقة . وعليه أن يلاحظ أن يترك في أسفل كل صفحة مسافة بيضاء كبيرة لكتابة الحواشي .

وإذا لم يتوافر لديه مثل هذه الأوراق المسطرة كتب على أوراق بيضاء خالية من الأسطر وباعد بين أسطر كتابته ملاحظاً ترك الهامش على اليمين والمسافة البيضاء الكبيرة في أسفل الصفحة لكتابة الحواشي والتعليقات كما أشرنا .

هذه الأسطر الفارغة تفسح للطالب مجالاً لأن يضيف فيها ما قد يعرض له من جديد بعدما يكون قد انتهى من كتابته.على أنه إذا كانت الزيادات أكثر مما يتسع له سطر ، كُتبت هذه الزيادات على الهامش الأيمن أو أُشير إليها بسهم وكُتبت خلف الصفحة ، أو كُتب ذلك على ورقة صغيرة وأُضيفت إلى الورقة ذاتها بلصقها في المكان المناسب أو غير ذلك من الأمور التي تتفتّق عنها مهارة الطالب العملية .

هذا وترك الفصل بعد كتابته فترة من الزمن ثم العودة إليه من جديد وقراءته بفكر ثاقب قد تحمله على تطويره وتغيير بعض

عباراته مما يجعله أقرب إلى الكمال . وعلى كل حال لابد من مثل هذه العملية التنقيحية بعد الانتهاء من كتابة كل فصل بل كل باب ، بل لابد من هذه العملية بعد كتابة الرسالة بكاملها .

اللغة والأسلوب :

إن للأسلوب أهمية كبرى في عرض الرسالة فيجب أن يكون سليماً جارياً على قواعد اللغة والإملاء ، فالأسلوب كما قيل هو الوتر الدقيق القوي الذي يستعمله الصائغ في جمع اللآلىء ليجعل منه عقداً ثميناً لاتشوبه شائبة ، لذلك وجب أن يكون واضحاً جميلاً ، يعالج المعلومات ببساطة وينقلها بلغة سليمة وعبارة متينة مشوّقة جارية على أساليب العرب وفصائحهم . وليس معنى الأسلوب الجميل أن يكون مزخرفاً محشواً بالألفاظ الغريبة فهذا يجب أن يتحاشاه الطالب لأنه يتنافى مع طبيعة الرسائل التي تدعو إلى أن يكون الكاتب فيها بسيطاً دقيقاً يقصد الناحية العلمية بوضوح وجلاء . لذلك كان على الطالب أن يكون معجمه اللغوي واسعاً وأن يكون دقيقاً في اختيار مفرداته ، يحسن ربط الجمل والتراكيب ، مبتعداً في هذا عن الأسلوب الاستطرادي ذي العبارات الطويلة أو مايسمّى بالفرنسية Style périodique الذي يؤدي عادة إلى التعقيد . ولهذا يجب ألّا تطول الجملة وألا تتداخل في أختها ، بل يحسن تقطيع الجمل وتوزانها حتى تتضح الفكرة وتعبّر عن رأي كاتبها بجلاء ووضوح, وجلاء الفكرة

يقتضي جلاء العبارة فلذا يجب أن تكون أفكارنا واضحة لنعبر عنها بأسلوب واضح .

وإذا كان الأسلوب يدّل ، فيما يدل ، على رقة العبارة وتسلسلها ، وعلى ارتباط الفقرات وتعانق الأفكار وعدم التعقيد فيها ، فإن له معنى آخر أعمّ يشمل البراعة في عرض مادة الرسالة وتسلسل أفكارها وفصولها وإبراز نتائجها ، وكل هذا يؤثر في قيمة الرسالة .

والأسلوب بهذا المعنى يعانق الأفكار ويسعى إلى إظهارها بشكل يؤثر في السامع والقارىء على نحو تظهر فيه الأصالة والمنطقية والقدرة على الصياغة والتعبير ، ومن أجل هذا يجب على الطالب ألّا يورد براهين على مبادىء واضحةٍ مسلَّم بها أو يمكن التسليم بها بسهولة ، كما يجب أن يتحاشى المبالغات والتفخيم ، ويتحاشى أيضاً الأسلوب التهكمي أو عبارات السخرية فليس مجالها هنا في الرسائل العلمية . كما يجب عليه أن يبتعد عما سيفتح عليه باباً للخلاف وألّا يتورط في إثارة مشكلات لايمكنه التخلص منها . وليحذرْ الجدل حبّاً بالجدل وليكن قصده إظهار الحقيقة في موضوعية وعلمية .

وننصح الطالب بالابتعاد عن ضمائر المتكلم : فلا يقول أنا ، ونحن ، وأرى ، ورأيي . بل عليه أن يستعمل الأسلوب الذي يغلب عليه أمثال هذه العبارات : يبدو أنه ، يظهر مما سبق ، يتضح من ذلك . . .على أنه إذا اضطر الطالب إلى استعمال ضميري المتكلم أو المخاطب فليستعملها نادراً عندما

يكون هناك حقيقة لامجال لنكرانها قد توصّل إليها ، وليكن ذلك في أسلوب لبق ، وأدب جم ، وتواضع ظاهر ، ودون أن يعتدَّ الباحث برأيه ويتشدد في استنتاجاته وأحكامه كأنها قاطعة نهائية .

الفصل الخامس

إخراج الرسالة ومناقشتها

إن حديثنا عن إخراج الرسالة يتضمن عدة أمور منها مايتعلق بالمضمون وكيفية إخراجه ، ومنها ما يتعلق بأمور شكلية من حيث وضع الهوامش والحواشي والجداول والملاحق ، وحجم الرسالة وطبعها وغير ذلك من الأمور التي لاتخرج الرسالة دونها . وسنتحدث باختصار عن ذلك على التوالي ، ثم نتعرض بعدئذ إلى طريقة المناقشة وإعلان النتيجة .

مضمون الرسالة :

أما مضمون الرسالة فهو عمل إبداعي كما ذكرنا يستند إلى المصادر والمراجع ، وهذا العمل الإبداعي يجب أن تتجلّى فيه القدرة على الأصالة في تحرّي المشكلة التي نقصدها ، كما يجب أن تتجلّى فيه القدرة على حسن الاستفادة من المصادر كما أوضحنا . وحسن الاستفادة من المصادر يقودنا إلى الكلام على الاقتباس ، وتبقى مشكلة الاقتباس من أهم المشكلات التي يجب على الباحث أن يعيرها جلَّ اهتمامه .

فكيف يلجأ الباحث إلى إدخال ما اقتبسه في صلب رسالته

وهو يقوم بإنشائها بعد أن يكون قد دوّن مقتبساته على البطاقات أو الأوراق المنفصلة وهو ما يسمّى بعملية «التقميش»؟ هذا ما نود أن نوضحه هنا :

الاقتباس :

١- على الطالب أن يلاحظ أن تكون مقتبساته من مصادر أصلية جهد الطاقة ، أو أن يكون مؤلفوها ممن يُعتمد عليهم ويوثق بهم ، وأن يلاحظ الدقة فيما ينقل ، ويضعه بين شولتين مزدوجتين كما ذكرنا ، وإذا كان الاقتباس لأكثر من فقرة وجب أن توضع الشولتان في بدء كل فقرة ، وتبقى الفقرة الأخيرة فقط هي التي تختم بشولتين ، ويشار في الحاشية إلى المصدر الذي اقتبس منه .

أما إذا طال الاقتباس حتى تجاوز الأسطر الستة فلا يحتاج عندئذ إلى شولات وإنما يوضع في ترتيب مميَّز بحيث يبدأ على سطر جديد وبأحرف صغيرة ويكون الهامش على يمينه أوسع من الهامش الطبيعي للرسالة .

٢- لاتوضع الشولتان إذا كان المقتبَس هو فحوى الكلام لاحرفيته ، ويشار في الحاشية فقط إلى المصدر الذي أُخذ منه فحوى الكلام .

٣- ونؤكد على أن كلام الباحث هو الذي يجب أن يكون مسيطراً على رسالته ، ويجب ألا تغيب شخصية الباحث في كثرة الاقتباسات ، كما يجب ألا تكون الرسالة سلسلة اقتباسات

متتالية ، ويجب أن تنسق الاقتباسات تنسيقاً ملائماً تستدعيه المناسبة المنطقية والحجة اللازمة وألا توضع خاليةً من التقديم والموازنة والنقد والتعليق على حسب المقام والظروف .

٤- يستطيع الطالب أن يحذف من الفقرة التي اقتبسها كلمة أو جملة أو عدة جمل لايحتاج إليهافي بحثه ، على ألاّ يضرَّ الحذف بالمعنى الذي أراده الكاتب الأصلي ، وفي حالة الحذف توضع نقاط أفقية متتابعة في موضع الحذف . وإذا كان الحذف سطراً أو أكثر فالدلالة على المحذوف تكون بوضع سطر مستقل من النقط .

٥- وإذا اضطر الطالب لأن يضيف كلمة أو كلمات في أثناء الاقتباس ليشرح شيئاً أو يبين مرجع ضمير فلا بدّ أن توضع هذه الزيادات داخل قوسين مركنين[] .

٦- هذا ونحب أن نشير في النهاية إلى أنه إذا ورد في الرسالة اسم أجنبي كان من اللازم أن يدوّن لأول مرة بالأحرف العربية متبوعةً مباشرةً بين قوسين بالأحرف الأجنبية ، أما إذا ورد مرّةً أخرى في الرسالة فيكتفى بالأحرف العربية فقط .

الحاشية أو «الهامش» :

الحاشية هي ما يخرج عن النص ويكتب في أسفل الصفحة مفصولاً عن النص بخط أفقي ، وبعضهم يسميها بالهامش على أننا نفضل أن نقصر الهامش على البياض الذي يكون على يمين الصفحة وعن شمالها .

والحاشية تضم :

١) ذكر المرجع الذي استقى الطالب منه مادته .

٢) الايضاحات التي تذكر أحياناً لتفصيل ما ورد في صلب الرسالة أو لتحقيق موضع ، أو لشرح مفردة أو عبارة ، أو لتصحيح خطأ ، أو لذكر نبذة عن حياة شخص ، أو غير ذلك من الأمور التي لايجدر أن تكون في صلب الرسالة وإنما تدوّن في الحاشية لتسلّط على البحث كثيراً من الأضواء .

أما ترقيم الحواشي وتدوينها فهناك طرق عدة نراها في عدد من المؤلفات العلمية ، وقد عني بها المؤلفون الغربيون عناية كبيرة ، ولعلّ أهم هذه الطرق وأسهلها وأكثرها شيوعاً هو وضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة ، وتدوّن المعلومات في الحاشية بتسلسل الأرقام التي وضعت في نص الصفحة .

وهناك من يعطي أرقاماً متسلسلة لكل فصل وتجمع الحواشي أو الهوامش في نهاية الفصل ، ومنهم من يجعل رقماً متصلاً متسلسلاً للرسالة كلها ، بادئاً بالرقم (١) ويستمر حتى نهاية الرسالة ، ثم يجمع الحواشي كلها في ملحق خاص في نهاية الرسالة .

ولايختلف تدوين المصادر في الهوامش عن الفهرسة العامة كما ذكرنا ، إلاّ أن تدوينها هنا يتطلب أموراً تجب ملاحظتها وهي :

- يدوّن المصدر الذي يرد لأول مرة كما يلي : يدوّن اسم

المؤلف بترتيبه العادي أو بالكنية ثم الاسم أو بكنيته المشهورة فقط وذلك حسب مااختار المؤلف ثم تليه نقطتان ، ثم عنوان الكتاب كاملاً أو مختصراً باسمه الأول إذا كان طويلاً ومعروفاً (يحسن أن يكون اسم الكتاب بحرف مخالف لحرف اسم المؤلف) ثم فصله يليها رقم الجزء أو الأجزاء ، ثم رقم الصفحة أو الصفحات[١] .

أما إذا تكرر المصدر أو المرجع ذاته في الصفحة ذاتها اكتفى بذكر اسم المؤلف ثم عبارة «المصدر نفسه» ، ثم الجزء والصفحة ، أو يكتفى فقط بذكر عبارة «المصدر نفسه» ثم الجزء والصفحة دون ذكر اسم المؤلف . وإذا تكرر المصدر ذاته المذكور في الصفحة السابقة اكتفى بذكر اسم المؤلف ثم عبارة : «المصدر السابق»ثم الجزء والصفحة .

- أما عند الإشارة إلى كتاب مخطوط ، فبعد اسم المؤلف واسم الكتاب المخطوط يشارإلى اسم البلد والمكتبة الموجود فيها مع ذكر رقمه في المكتبة التي تحتفظ به .

- ويتّبع الأسلوب ذاته في ذكر المؤلفات الأجنبية من حيث ذكر اسم مؤلفها واسم الكتاب ، وعند تكرار ذكر المصدر الأجنبي يكتفى بذكر اسم المؤلف ثم ذكر عبارة :<op.cit.> أي عنوان الكتاب السابق إذا كان الباحث اعتمد في البحث كله على مصدر

---

(١) لا تذكر في الحاشية معلومات النشر: «رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان الطبع، سنة الطبع» وإنما يترك ذكر هذه المعلومات إلى ثبت المصادر والمراجع الذي يأتي في نهاية الرسالة.

واحد لمؤلف واحد . أما إذا اعتمد الباحث على عدة مصادر أجنبية لمؤلف واحد أو لعدد من المؤلفين وتكرر المصدر لمؤلف منهم فإنه يكتفي بذكر اسم المؤلف ثم ذكر عبارة :<Ibid.> أي المصدر نفسه .

ومهما يكن من أمر ، فنحن ننبّه على أنه لاتدوَّن معلومات النشر في الحاشية وإنما تدوَّن فقط في ثبت المصادر والمراجع الذي سيذكر في نهاية الرسالة .
هذا ونشير إلى ضرورة حذف الألقاب العلمية عند ذكر الأسماء في صلب الرسالة أو في الحواشي .

وإليكم بعض النماذج عن تدوين الكتب في ثبت المصادر والمراجع في نهاية الرسالة وعن تدوينها في الحاشية أو الهامش :
التدوين في الثبت :
- المقري (أحمد بن محمد التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى عشرة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ .
التدوين في الحاشية أو الهامش :
- المقري : النفح ، ج٣ص٢٨ .
أو :
النفح :٣/ ٢٨ .
التدوين في الثبت :
- عثمان (حسن) : منهج البحث التاريخي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٦ .

التدوين في الحاشية :
- عثمان (حسن) : منهج البحث التاريخي ، ص . . .
أو: عثمان (حسن) : المصدر نفسه (أو المصدر السابق)ص . . .
التدوين في الثبت :
- الرصافي (معروف) : ديوان ، القاهرة ١٩٤٩ .
التدوين في الحاشية :
- الرصافي (معروف) : ديوان ، ص . . .
التدوين في الثبت :
- الركابي(جودت) : في الأدب الأندلسي ،الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة١٩٨٠ .
التدوين في الحاشية :
- الركابي(جودت) : في الأدب الأندلسي ، ص. . .
التدوين في الثبت :
- ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات (تحقيق جودت الركابي) ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٠ .
التدوين في الحاشية :
- ابن سناء الملك : دار الطراز ، ص . . .
الكتب الأجنبية :
التدوين في الثبت :
- Rikabi (Jawdat): La poésie profane sous les Ayyubides et ses principaux représentants, Paris,1949.
التدوين في الحاشية :
- Rikabi(J):op.cit,p.....

الملاحق أو التوابع أو الذيول :

الملاحق أو الذيول (Appendice) هي توابع خاصة تكون في نهاية الرسالة ، وقد تكون جدولاً بيانياً ، أو خريطة ، أو جدولاً بنسب الشاعر أو الكاتب أو نسب القبيلة ، أو نصوصاً شعرية أو نثرية كاملة ورد بعضها في صلب الرسالة ، أو نصوصاً عربية أو أشعاراً وردت ترجمتها باللغة الأجنبية في جسم الرسالة (إذا كانت الرسالة مكتوبة باللغة الأجنبية) ، أو إضافات عامة أو إحصاءات أو غير ذلك .

ويراعى في تدوينها ذكر المصادر المعتمدة في نقلها إذا كانت منقولة ، ويشار إلى ذلك في هوامش الملحق ، كما يشار أيضاً في هذه الهوامش إلى كثير من الشروح اللغوية والتحقيقات المختلفة .

الفهارس :

يثبت في نهاية الرسالة فهرس أو ثبت المصادر و المراجع مرتباً ترتيباً أبجدياً كما ذكرنا عند كلامنا على المصادر والمراجع ، ويفرّق بين المصادر العربية والأجنبية .

وهناك من يثبت فهرساً للأعلام وآخر للأمكنة ، وفهرساً ثالثاً للألفاظ أو المصطلحات ، وهذه الفهارس أو الكشّافات التي تسمى بالأجنبية (Index) تُثبَت عادةً في الرسائل الطويلة التي يكثر فيها ذكر الأعلام والأمكنة ، ويراعى فيها الترتيب الألفبائي ، وتلي

عادة فهرس المصادر والمراجع ، ويضيف الباحث فيها بعض المعلومات المفيدة . أما فهرس موضوعات الرسالة أو محتواها فيأتي في خاتمة الرسالة ومنهم من يضعه في أولها بعد التقديم ، ويجب أن يكون مفصلاً واضحاً مطابقاً لمضمون الرسالة .

حجم الرسالة :

ليس هناك حدٌّ دقيق لحجم الرسالة ، وإن كان بعض الجامعات قد وضع بعض الحدود . ومهما يكن من أمر فالرسائل العلمية أو الطبية أو النظرية الرياضية تكون صغيرة الحجم ، أما الرسائل الأدبية أو التاريخية أو الاجتماعية فهي كبيرة إذا ماقيست بالرسائل العلمية التي تعالج مشكلة محدودة تجعلها أقرب إلى المقال الواسع منها إلى الرسالة ، ومع هذا فهي تقتضي الاكتشاف المستند إلى التجريب العملي كما هو الشأن في رسائل الطب والعلوم التطبيقية الأخرى .

والحجم المتعارف عليه في أكثر الجامعات هو أن رسالة الدبلوم أو الماجستير يتراوح عدد صفحاتها بين ٢٠٠ و ٢٥٠ صفحة وتكون رسالة الدبلوم عادة أصغر من الماجستير ، أما رسالة دكتوراه الدولة فيتراوح عدد صفحاتها بين ٣٥٠ و ٤٥٠ صفحة أو تزيد .

وليس المهم في الرسالة هو كثرة الصفحات بل المهم جودتُها التي تبدو في العمق والابتكار وحسن العرض والأداء والتنسيق كما أشرنا إلى ذلك مراراً . فعلى الطالب ألّا يحشد المعلومات حشداً

بل عليه أن يعرف ماذا يجب أن يُثبت، وماذا عليه أن ينحّي . وليكن في كل ذلك أصيلاً عميقاً مفيداً بعيداً عن اللغو الذي لاطائل تحته .

طبع الرسالة ومناقشتها والنتيجة النهائية :

بعد أن ينتهي الطالب من تسويد الرسالة يبدأ بطباعتها على الآلة الكاتبة ، وقد يبدأ بطباعة كل فصل بعد الانتهاء من كتابته ، طباعةً أولى مفرَّقة الأسطر ، واسعة الهوامش ، ليعود إلى النظر إليها . ثم يعاود طباعتها طباعة أخيرة بعد الانتهاء من النظر في الرسالة بشكل واثق ثابت . والطباعة يجب أن تكون دقيقةً خاليةً من الخطأ ، لأن الخطأ المطبعي يفسد الرسالة ويعطي انطباعاً سيئاً لدى الفاحصين . وحبذا لو استطاع طلابنا أن يطبعوا رسائلهم بأنفسهم وأن يكونوا متدربين على استعمال الآلة الكاتبة ـ كما هو شأن أكثر الطلاب الغربيين ـ ، إنهم لو استطاعوا أن يفعلوا ذلك لهان عليهم الأمر .

وتشمل الصفحة الأولى التي تلي الورقة البيضاء المعلومات الآتية :

١- يوضع في رأس الصفحة اسم الجامعة واسم الكلية أو المعهد الذي ينتسب إليه الطالب وتقدّم إليه الرسالة .

٢- عنوان الرسالة .

٣- اسم مقدِّمها ثم اسم المشرف عليها .

٤- الدرجة العلمية التي يرغب الطالب الحصول عليها بهذه الرسالة .

٥- السنة الجامعية التي انتهت فيها الرسالة .

أما الصفحات التالية فتضم :

أولاً : صفحة التقدير والاعتراف والشكر (وقد يكون هذا التقدير في نهاية المقدمة) .

ثانياً : المقدمة (وتشمل عادة دوافع اختيار الموضوع ، المصادر المهمة حوله مع الإشارة إلى الدراسات السابقة إن وجدت ، إلماعة إلى هيكل الرسالة العام ، الصعوبات التي اعترضت الباحث ، العون الذي قُدِّم له مع خاتمة شكر واعتراف) .

ثالثاً : المدخل أو التمهيد (إن وجدا) .

رابعاً : أبواب الرسالة وفصولها (وهو مضمون الرسالة وجسمها) .

خامساً : الخاتمة (وتشمل عادة النتائج التي وصل إليها الباحث دون تكرار لمضمون الرسالة)

سادساً : الفهارس والكشّافات وتشتمل على :

أ ـ الملاحق والوثائق والذيول .

ب ـ فهرس أو ثبت المصادر والمراجع .

جـ ـ فهارس أوكشّافات الأعلام والأمكنة والمفردات والأشعار وغير ذلك (إن وجدت) .

د ـ فهرس المادة العلمية أو ماسميناه بفهرس الموضوعات أو المحتويات أي فهرس الرسالة كاملاً .

عدد النسخ :

أما عددالنسخ المطبوعة على الآلة الكاتبة فيختلف بحسب المعاهد أو الكليات والجامعات . وهذا العدد يساوي عدد الأساتذة الفاحصين مضافاً إليه نسخة لمكتبة الجامعة ونسخة لمكتبة الكلية أو المعهد ونسخة للطالب ونسخة للأستاذ المشرف . ويلاحظ ألا يقل عدد المطبوع عن خمس عشرة نسخة ، وأن تكون جميعها مجلّدة .

المناقشة والنتيجة :

تتألف لجنة المناقشة عادةً في رسالة الدبلوم من عضوين وفي رسالة الماجستير من ثلاثة أعضاء وفي رسالة الدكتوراه من خمسة أعضاء أحدهم المشرف .

وفي اليوم الذي يحدد فيه موعد المناقشة يتقدم الطالب أمام اللجنة بإلقاء عرض موجز لرسالته يتضمن النواحي التالية :

١ـ بيان موضوع بحثه وأهميته .

٢ـ المشكلات التي اعترضته والنتائج التي وصلت إليها الأبحاث التي سبقته في الموضوع الذي يطرقه ، والنقطة التي بدأ منها .

٣ـ مصادره ومراجعه وقيمتها في بحثه .

٤ـ خطة البحث وإلمام مختصر بالمادة التي بحثها والمشكلات التي تطرّق إليها .

٥ـ النتائج التي وصل إليها والآفاق الجديدة التي يفتحها بحثه إذا كان هناك نقاط لم يتوصل إلى كشفها ولاتزال تحتاج إلى دراسة وتمحيص .

وعليه وهو يعرض بيانه هذا أن يكون هادئاً واثقاً مما يقول ، جيد الإلقاء . ومن المستحسن ألاّ يعمد إلى القراءة المتتابعة بل يتكلم وكأنه يحاضر . وبعد ذلك يوجه الأساتذة الفاحصون إليه ، كل بدوره ، مختلف الأسئلة المتعلقة برسالته ، ويجيب عنها الطالب بهدوء وسعة صدر وفهم ووضوح ، متقبلاً النقد إذا كان هناك نقد ، مبيّناً وجهة نظره بإقناع وهدوء ليسوّغ ماقصده ، مذعناً أحياناً إذا كان هناك مجال للإذعان ، غير متصلّب برأيه .

وعلى الطالب أن يعرف أن ليس عليه أن يجيب عن كل سؤال ، إذ قد يوافق الطالب الممتحنَ في وجهة نظره ويعلن أنه سيتدارك بعض الهنات الطفيفة عند طبع الرسالة ونشرها على الناس .

والأسئلة التي توجه إلى الطالب تدور عادةً حول الأمور الآتية :

أولاها : مايتعلق بالناحية الشكلية والإخراج .

وثانيها : مايتعلق بالناحية المنهجية والمصادر واستقرائها والربط بين الفصول وبين مختلف أجزاء المادة .

وثالثها : ما يتعلق بالناحية العلمية الموضوعية والنقدية العامة .

وهناك أسئلة أخرى متفرقة يقتضيها المقام .

ويستمع المناقشة عادة عدد من الطلبة وغيرهم من

الحاضرين ، ولايحق للمستمعين أن يوجّهوا أسئلة إلى الطالب إلا في حالات خاصة تسمح بها بعض الجامعات .

وتستغرق مناقشة رسالة الماجستير حوالى ساعتين أو ثلاث بينما تستغرق مناقشة رسالة دكتوراه الدولة أربع ساعات أو خمس ساعات وقد تزيد على ذلك في بعض الأحوال النادرة .

والمناقشة العلنية تستغرق وقتاً أكثر من المناقشة التي تدور في مكان خاص ، وهذا يعود إلى الوضع النفسي الذي يكون سائداً في المناقشة العلنية الحافلة بالجمهور والذي يجعل الطالب والفاحصين يفيضون في مناقشاتهم وأسئلتهم .

وفي بعض شهادات الدكتوراه ولاسيما الدكتوراه في الحقوق يقوم كل عضو من أعضاء اللجنة الفاحصة بمناقشة الطالب على انفراد ثم بعد ذلك يجتمع المناقشون ليعطوا النتيجة وهذا مايجري في كليات الحقوق بجامعات فرنسا ، إنهم بذلك يكونون قد درسوا الرسالة مسبقاً وحكموا عليها ، وعندئذ تكون المناقشة الفردية تتويجاً لما قرّروه مسبقاً من أنها تستحق النجاح بدرجة من الدرجات المقررة .

أما في بعض الجامعات الإنكليزية ، كجامعة أدنبرة مثلاً ، لاتجري المناقشة أصلاً وإنما تكتفي لجنة المعهد الذي تتبعه الرسالة بدراسة التقارير المقدمة من قبل اللجنة الفاحصة وتصدر الحكم على الرسالة بناء على التقارير المقدَّمة .

هذا ، وبعد المناقشة العلنية يختلي الفاحصون للمداولة وقد

تطول خلوتهم إذا كان هناك مجال للجدل أو النقاش في الحكم على الرسالة وتقدير درجتها ، ثم يخرجون ليعلنوا فوز الطالب باللقب العلمي الذي تقدَّم من أجل نيله مع الإشارة إلى الدرجة التي حازها .

وهناك التقديرات الآتية :

مقبول ، جيد ، جيد جداً ، ممتاز ، شرف . ولاتذكر درجة مقبول عادةً ، فإعلان نجاح الرسالة من غير أن يضاف إليها تقدير معناه أنها مقبولة فقط .

وبعض الرسائل الناجحة بشكل ممتاز أو بدرجة شرف توصي اللجنة بالاحتفاظ بها وتبادلها مع رسائل ممتازة في جامعات أخرى ، كما توصي أحياناً بطبعها على نفقة الجامعة تقديراً لصاحبها .

وتقدِّم اللجنة الفاحصة تقريرها عن مناقشة الرسالة إلى مجلس الكلية أو المعهد الذي ينتسب إليه الطالب ، وبعد استعراضه يتخذ المجلس قراره ويرفعه إلى مجلس الجامعة لإقراره والتصديق عليه ، وتعلن أمانة مجلس الجامعة هذا القرار .

ويحدث أحياناً ، كما هو في جامعات بريطانيا وغيرها ، أن تردَّ الرسالة لإجراء تعديل عليها ، وتقدَّم للمناقشة مرةً أخرى ، كما يحدث أن يمنح الطالب درجة الماجستير بدل الدكتوراه إذا كان مستوى الرسالة لايصل إلى الدكتوراه .

وعلى كل حال ، فالرسالة التي تستحق التقدير هي الرسالة

التي تنال درجة (جيد جداً) على الأقل . والمهم ، في كل هذا ، أن يقدِّم الطالب الباحث عملاً جديراً بالتقدير والإجلال .

الفصل السادس

تحقيق النصوص والمخطوطات

يعدُّ تحقيق النصوص والمخطوطات فرعاً من فروع البحث الأدبي ، وهو يتصل بالتاريخ الأدبي من ناحية كما يتصل بالنقد من ناحية أخرى .

وقد تخصص في هذا الموضوع عدد من العلماء ووهبوا له جهودهم . ويأتي على رأسهم محمد محمود شاكر وعبد السلام هارون وأحمد راتب النفاخ . وقد قام هؤلاء العلماء وغيرهم بتحقيق عدد من أمهات الكتب العربية والنصوص تحقيقاً علمياً ، وأصدر بعضهم عدداً من الكتب المهمة التي تبيّن قواعد هذا التحقيق العلمي .

ومن بين هذه الكتب نذكر مايلي :

- كتاب عبد السلام هارون الذي يحمل عنوان «تحقيق النصوص ونشرها» وقد صدرت طبعته الثانية في القاهرة عام ١٩٦٥ .

- وكتاب «أصول نقد النصوص ونشر الكتب » وهي

محاضرات للمستشرق الألماني برجشتراسر (Bergsträsser) ألقاها بكلية الآداب بالجامعة المصرية ـ جامعة القاهرة حالياً ـ سنة ١٩٣١/ ١٩٣٢ ونشرتها مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩ .

ـ وكتاب «قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها» للمستشرقَيْن الفرنسيَيْن ريجيس بلاشير (R.Blachère) وجان سوفاجيه (J.Sauvaget) وقد صدر نصُّه الفرنسي بباريس سنة ١٩٤٥ ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٣ ، وترجمه إلى العربية الدكتور محمود المقداد ونشرته دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٨ .

ـ وكتاب «قواعد تحقيق المخطوطات » للدكتور صلاح الدين المنجد ، وقد صدرت طبعته الأولى في مجلة (معهد المخطوطات العربية) بالقاهرة سنة ١٩٥٥ ثم صدرت طبعته الرابعة عن دار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٩٧٠ .

وهناك كتب أخرى أدبية ذات صفة تخصصية مثل كتاب «البحث الأدبي» للدكتور شوقي ضيف وكتاب «مناهج البحث في اللغة» للدكتور تمام حسان قد أشارت إلى بعض قواعد تحقيق النصوص ، ونجد أيضاً إشارات لهذه القواعد في بعض الكتب التراثية وفي مقدمات بعض الكتب الأخرى التي نشرت نشراً علمياً جيداً .

وإننا لذاكرون فيمايلي أهم هذه القواعد وأصول النشر العلمي :

تضم قواعد تحقيق المخطوطات الأمور الآتية :

١ـ اختيار المخطوط .

٢ـ المخطوطات الوحيدة والمخطوطات المتعددة وترتيب النسخ .

٣ـ تحقيق النص وملحقاته .

١ـ اختيار المخطوط :

هناك أمر بديهي هو أن ليس كل كتاب مخطوط جديراً بالنشر ، ولكن بعض الناشرين قد أغفلوا هذا الأمر إما لدوافع تجارية أو لجهل بجدارة المخطوط للنشر .

والمخطوط الجدير بالنشر هو ذلك الذي يمثل قيمة أدبية في ذاته أو قيمة تاريخية عامة أو خاصة . ولذا كان على المحقق ألا يضيع وقته في نشر مخطوطات لاتتحقق فيها هذه الجدارة .
وعندما يعثر المحقق على كتاب جدير بالنشر عليه أن يتحقق :

أولاً : من نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وذلك بالرجوع إلى كتب الفهارس القديمة مثل كتاب (الفهرست) لابن النديم وكتاب (كشف الظنون) لحاجي خليفة ، وإلى ترجمته في كتب الطبقات والتراجم والموسوعات وغيرها من كتب الأعلام ، وفي الكتب التي أُلفت في الفن ذاته في العصر الذي عاش فيه مؤلف المخطوط ، إذ قد يجد المحقق فيها مايؤكد نسبة ذاك الكتاب إلى صاحبه .

وهناك أمر آخر هو أنه لايكفي أن نقرأ عنوان الكتاب لنتثبت من أن المخطوط الذي ننوي نشره يمثّل الكتاب الذي يحمل

عنوانه ، بل علينا أن نعود إلى من نقلوا عن المخطوط من المؤلفين المتأخرين ومقارنة نقولهم بنص المخطوط لنتأكد من أن نصَّ المخطوط هو ذاته الذي يحمل ذاك العنوان .

وعندما تنعدم الدلالات الخارجية للمخطوط يمكننا أن نلجأ إلى الدلالات الداخلية وذلك بدراسة الأسلوب ، ففي أسلوب المخطوطة دلالة على كاتبهاوإن لم تكن دلالة قطعية .

ثانياً : يجب أن نتأكد من أن المخطوط الذي ننوي نشره يمثّل الكتاب كاملاً .

ويمكننا التأكد من ذلك بالرجوع إلى حالة المخطوطة ، ودراسة النص ، ومقدمة المخطوط ، ففي المقدمة كثيراً ما يذكر المؤلف خطة الكتاب ، فإذا وجدنا أن الكتاب قد انقطع قبل تمام خطته كان ذلك دليلاً على النقص .

٢ـ المخطوطات الوحيدة والمخطوطات المتعددة :

أـ المخطوطات الوحيدة :

سؤال نطرحه على أنفسنا : هل يجوز الاعتماد على مخطوط واحد في التحقيق؟ الجواب نعم إذا عثر المؤلف على نسخة بخط المؤلف ، وهذا نادر . وفي هذه الحالة يجب أن نبحث إذا كان المؤلف ألّف كتابه على مراحل أو دفعة واحدة ، لنتأكد من أن النسخة التي بين أيدينا هي آخر صورة كتب المؤلف بها كتابه . وفي الواقع أن كثيراً من المؤلفين يخرجون تآليفهم أول الأمر على

شكل ، ثم يزيدون فيها أو ينقصون منها ، فلابد أن ينتبه المؤلف إلى ذلك وأن يشير إليه في أثناء مسلكه في التحقيق .

ويمكن الاعتماد أيضاً على مخطوطة وحيدة ولو لم تكن بخط المؤلف إذا كانت على حظ كبير من النفاسة . وذلك بأن تكون قد قرئت على المؤلف أو على أحد تلاميذه أو تكون قريبة العهد من المؤلف ، أو أن تكون جيدة المراجعة والضبط . وللنساخ المدققين علامات مخصوصة تدل على المراجعة يعرفها المحققون .

ب ـ المخطوطات المتعددة وترتيب النسخ :

يعثر المحقق ، في أكثر الأحيان ، على أكثر من مخطوط للكتاب الواحد ، وفي هذه الحالة عليه أن يقارن بين مخطوطاته وأن يبين النسخ الأصلية والنسخ التي نقلت عنها ، وعليه أن ينشر نسخة الأصل ولايتسعين بالفروع المنقولة منها إلاّ حيث يقع في نسخة الأصل خرمٌ أو تشويه . وإذا تعددت الأصول وجب عليه أن يثبت في الهامش مابينها من اختلاف في القراءات .

على أنه تبقى هناك دائماً مواضع مشكلة في النص ،إما لتلف أو تمزيق أصاب بعض كلمات المخطوطة ، وإما لخطأ أو سهو وقع من الناسخ ، وإما لسبب آخر غير هذين ، وهنا لابد للمحقق من أن يعتمد على ذكائه وثقافته وعلمه باللغة في إقامة النص ، بشرط أن يكون هدفه دائماً إعادة النص إلى حالته التي خرج عليها من يد مؤلفه ، لاتصحيح لغته أو معانيه . وعليه أن يشير دوماً ، في الهامش ، إلى الاختلافات أو النقص والتشويه .

ويمكننا أن نرتب النسخ بحسب مراتبها على الشكل الآتي :

١ـ أحسن نسخة تُعتمد للنشر نسخة كتبها المؤلف نفسه ، فهذه هي الأُم .

٢ـ تأتي بعدها نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه ، وأثبت بخطه أنها قرئت عليه .

٣ـ ثم نسخة نقلت عن نسخة المؤلف أو عورضت بها وقوبلت عليها .

٤ـ ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف عليها سماعات على علماء .

٥ـ ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف ليس عليها سماعات .

٦ـ نسخ أخرى كتبت بعد عصر المؤلف . وفي هذه الحالة تُفضَّل النسخة الأقدم على المتأخرة ، والتي كتبها عالم أو قرئت على عالم .

وهناك حالات قد تعرض على المحقق ، فيصادف نسخة متأخرة صحيحة مضبوطة تفضُل نسخةً أقدم منها فيها تصحيف أو تحريف . أو نسخة متأخرة جداً نسخت نسخاً جيداً عن نسخة المؤلف أو عن نسخة من عصر المؤلف ، أو غير ذلك من الحالات الخاصة . وفي كل هذا يجب أن يكون هدفنا ، إذا لم نحصل على نسخة المؤلف ، الحصول على أقرب شكل للمخطوطة بعيد عن التحريف والتصحيف .

ذلك أنه كلما ابتعد تاريخ المخطوطة عن زمن المؤلف ، زاد فيها ـ على الأغلب ـ التحريف من أيدي الناسخين .

هذا ونستطيع، عندما نعثر على مخطوطة ليس عليها تاريخ النسخ أو أية إشارة تدل على تاريخ كتابتها ، أن نلجأ إلى تحديد تاريخها بوساطة الخط الذي كتبت فيه ، إذ أن لكل عصر من العصور نوعاً من الخط عُرف به ، وعلى الباحث والمحقق أن يكتسب الخبرة والمعرفة بخطوط المخطوطات وما يرجع منها إلى كل عصر ، بكثرة الاطلاع على المخطوطات . وتبقى دائماً ـ كما قلنا ـ ثقافة المحقق وسعة اطلاعه وتضلعه بعلوم اللغة ، وخبرته وطول ممارسته ، المنار الذي ينير طريقه ، الشائك والصعب ، في التحقيق .

٣ـ التحقيق وملحقاته :

غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحاً كما وضعه مؤلفه ، ولكن معظم المحققين لايكتفون بنشر النص كما جاء على يد مؤلفه بل يضيفون إلى ذلك أعمالاً أخرى ليست من صميم التحقيق ولكنها مكملة له ، وأهمها **الشروح والتراجم والفهارس** .

فأما الشروح والتراجم فيختلف مسلك المحققين فيها :

هناك من يكثر من الشرح فيجعل الحواشي ممتلئة بالشروح والزيادات من شرح للألفاظ وترجمات للأعلام وتعليقات على ماقاله المؤلف وغير ذلك مما يشغل القارىء عن النص نفسه وإن كان يريد المحقق من وراء ذلك ألاّ يكلف القارىء مشقة الرجوع إلى معجم أو موسوعة ، وهناك من يقلُّ من هذه الشروح ويكتفي بما أورده المؤلف من شرح لبعض الكلمات أو بترجمة علم

لايمكن الوصول إليه في كتب الطبقات إلاّ بصعوبة . وفي رأينا أن الاقتصاد في هذه الشروح خير من الإفراط فيها لأن غاية التحقيق إيراد المخطوط كما وضعه المؤلف . والأعمال الأخرى مكملة له وملحقة به ، وعليه ألاّ يكون مسرفاً فيها لئلا تصبح مملّة واسعة .

أما الفهارس أو الكشّافات (Index) :

فلها شأن آخر ، إذ تعين القارىء وتيسّر له سبل الانتفاع من المخطوطة وما فيها من أعلام وأسماء أمكنة وغير ذلك .

ففهرس الأعلام أداة ضرورية للانتفاع بالمخطوطة أو بأي كتاب قديم أو حديث كبير ، لذلك يخصص المحقق في نهاية المخطوطة أو أي كتاب آخركبير فهرساً أو كشّافاً لأعلام الأشخاص ، وآخر لأسماء الأمكنة والبقاع ، وكشّافاً آخر لأسماء القبائل وهكذا . . . وهذا تيسير حسن . وقد أجاد المستشرقون بوضع هذه الفهارس والكشّافات لبعض الكتب القديمة التي قاموا بنشرها فسهل الرجوع إليها .

وفي نهاية دواوين الشعراء وكتب المختارات والكتب الأخرى التي اشتملت على أخبار الشعراء ككتاب (الأغاني) مثلاً ، يجب أن تحتوي أيضاً على كشّاف لأوائل القصائد أو المقطوعات مرتبةً على حسب القوافي ، وهذا الكشّاف مفيد في تسهيل الرجوع إلى بيت من الأبيات أو قصيدة من القصائد والتحقق من نصهما .

وإذا تعدّدت الموضوعات والاستطرادات في كتاب قديم ككتب الجاحظ ، مثلاً (الحيوان أو البيان والتبيين) ، لزم إيجاد

كشّاف تفرز الموضوعات المختلفة من هذا الكتاب . كما فعل عبد السلام هارون في تحقيقه لكتب الجاحظ . فتجد في آخر جزء من كتاب الحيوان كشّافاً للموضوعات التي تتعلق بالحيوان وثانياً لموضوعات البلاغة وثالثاً للمعارف العامة وهكذا . . .

إن هذه الكشّافات ضرورية للتحقيق ، وقد كانت كتبنا القديمة خالية منها ، وأصبحنا اليوم ، بالاهتداء إلى الطرق الجديدة في التحقيق والتي سار عليها أكثر المستشرقين ، نعيرها اهتمامنا ، مما جعل كتبنا القديمة المحققة تحقيقاً علمياً سهلة المتناول تعين القارىء على الرجوع إلى مضامينها بسرعة ويسر .

وهناك أمور أخرى في التحقيق يجب أن نعيرها اهتمامنا ، وهي وإن كانت من صلب التحقيق ، فإن بعضها يعدُّ من ملحقاته ، ونحن نجملها فيما يلي :

١- كل مخطوط أو كتاب قديم ينشر نشراً علمياً لابد أن يحتوي ، في مقدمته ، على وصف للمخطوطات التي رجع إليها المحقق ، يميز المخطوطات المعتمدة في التحقيق .

٢- إذا كانت المخطوطة كتبها المؤلف بخطه ، وهي التي نسميها أُمّاً ، كما ذكرنا ، فنثبتها كما هي .

٣- أما إذا كانت النسخ مختلفة ، فتقابل النسخ لنصل إلى نسخة تختار لتكون أُمّاً ، ويثبت نصها ، ويشار في الحاشية إلى اختلاف النسخ ، أي اختلاف الروايات في كل لفظة .

٤- عند اختلاف الروايات يُثبت في المتن ما يرجح أنه صحيح

بعد دراسةٍ يقوم بها المحقق لكل رواية . ويوضع في الحاشية المصحَّف والمحرَّف والخطأ .

٥ـ عند وجود زيادة في نسخة من النسخ لاتوجد في النسخة المعتمدة ، فتضاف إلى النسخة المعتمدة إذا تحقق للناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليست من الناسخ ، ويشار إلى ذلك في الحاشية .

٦ـ إذا كان المؤلف نقل نصوصاً من مصادر ذكرها فتعارض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية ، بإيجاز ، إلى مافيها من زيادة ونقص . كأن يقال : هذا النص في كتاب كذا باختلاف في النص ، أو بزيادة ، أو غير ذلك .

٧ـ يسمح للمحقق إضافة حرف أو كلمة سقطت من المتن ، على أن يضع ذلك بين قوسين (انظر الرموز) ، كما يستطيع المحقق أن يصحح خطأ وقع فيه المؤلف وكان واضحاً أو ناتجاً عن سبق قلم أو خيانة ذاكرة ، على أن يشار إلى ذلك في الحاشية .

٨ـ إذا وُجد في المخطوط خرم ، وكان هذا الخرم موجوداً في كتاب آخر ، مخطوطٍ أو مطبوع ، فيمكن إتمام الخرم ويوضع بين قوسين ، ويشار إلى ذلك في الحاشية . وإذا لم يجد المحقق الخرم تُرك بياضاً ويشار إلى مقدار الخرم أو البياض في الحاشية .

٩ـ كل إضافة ليست موجودة في المتن الأصلي توضع بين قوسين مركنين . وإذا وجدت زيادات أضيفت في جوانب المخطوط أو طرته ، من تنبيه أو تفسير أو غير ذلك ، فلا تضاف قط على المتن ، بل يُشار إليها في الحاشية .

١٠ـ يصادف المحقق في بعض المخطوطات القديمة ، بعض علامات قد لايدري معناها ، ومنها : كلمة «صح» توضع فوق اللفظ ، ومعناها أن اللفظ على ماهو مثبت صحيح ، وحرف «ص» ممدودة «صـ» وتسمى «ضبّة» أو علامة التمريض ، وهذا يعني أن اللفظ الذي وُضع الحرف فوقه فيه مرض أو خطأ أو علّة .

وللنسّاخ المدققين علامات مخصوصة أخرى تدل على المراجعة منها الحرفان «مر» في الهامش ومنها وضع نقطة داخل دائرة داخل الجمل ، وغير ذلك مما يلجأ إليه النساخ ويعرفه المحققون .

الأقواس والرموز :

﴿﴾ القوسان المزهّران يحصران الآيات القرآنية .

«» الشولتان أو علامتا التنصيص تحصران النص المنقول حرفياً عن مؤلف آخر ، كما تحصران أسماء الكتب إذا وردت في النص .

ـ ـ الخطان القصيران يحصران الجمل المعترضة .

ا ا الخطان العموديان يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية مخطوطة غير النسخة المعتمدة .

[] القوسان المركّنان يحصران ما يضاف بصورة عامة إلى

النص من نقول وإضافات ليست من النص الأصلي ، أو ما يضاف من عناوين جديدة .

() هذان القوسان داخل النص يحصران وجه الورقة المخطوطة . كما يحصران ظهر الورقة المخطوطة أيضاً ، فيكتب للوجه مثلاً (٢٣أ) ويكتب للظهر (٢٤ب) . كما يحصران ما سقط سهواً من المتن ، مثل حرف أو كلمة ، وصححه المحقق .

ويرمز إلى كل نسخة من نسخ المخطوطة بحرف ، يؤخذ من اسم صاحبها ، أو من اسم المكتبة التي وجدت فيها ، أو من اسم البلد الذي فيه المكتبه .

التحقيق في النصوص الحديثة :

هناك كتب طبعها الناشرون ناقصة عن أصلها لأسباب مختلفة سياسية أو أدبية أو أخلاقية أو تجارية بحتة . وليست الرقابة وحدها تفعل ذلك ولكن أحياناً الناشرون كما ذكرت . . وهناك أيضاً أعمال لمؤلفين حديثين لم ينشروها وطووها لأسباب عديدة منها ماهو سياسي ومنها ما هو أدبي ومنها ما هو شخصي .

- ماذا يفعل الباحث إزاء هذه النصوص الناقصة ؟

يقول بعض الدارسين بالاكتفاء بما هو موجود وبما اطلع عليه القارىء ، ولكن من الإنصاف للبحث العلمي أن نقول إنه يجب العودة إليها كلها والبحث عما هو ناقص منها .

لأن حقيقة الكاتب وحقيقة الزمن الذي عاش فيه لاتعرفان إلا بقراءة آثاره كاملةً وتامة .

ولايكفي أن نقرأ بعض الآثار الناقصة ، كما لايكفي أن نقرأ الآثار «المطهَّرة» (purifié) لنقدّم صورة صحيحة عن الكاتب . هناك ، من الناشرين ، من ينشرون بعض الطبعات ويحذفون منها مالايروق لهم أو مالا يروق للذوق العام ولاسيما تلك الآثار الحديثة التي تمسُّ الأخلاق . ولكن يجب على المحقق والدارس أن يعود إلى الآثار التامة ليعرف الصورة الحقيقية لكاتب النص أو مؤلف الكتاب .

وهناك مشكلة أخرى ، وهي اختلاف الطبعات ، فثمة طبعات أصابها البتر كما أصابها التشويه ، فماذا يفعل الباحث أمام هذه الطبعات المختلفة؟ عليه أن يبحث عن الطبعة التي طبعت بمعرفة المؤلف ويبحث عنها قبل البتر أو التشويه . وإذا لم يصل إلى ذلك عليه أن يقارن بين الطبعات المختلفة ويبيّن الأخطاء فيها ويعتمد السليم منها ويشير إلى ذلك في مكانه عند التحقيق ، ثم يبني بحثه على الطبعة أو القراءة السليمة التي اعتمدها . ونحن نعلم ما في ذلك من جهد ومشقة .

ومهما يكن أمر فإن الأسس التي ينطلق منها المحقق أو الباحث هي : فحص الوقائع التاريخية والمناخ العام السياسي والاجتماعي والثقافي والأدبي الذي كُتب فيه الأثر ، والعودة إلى المصادر والمراجع وحسن استخدامها . وهذان الأمران يسميان **بالدراسة الخارجية**، ثم هناك أمر ثالث وهو العودة إلى النص

وتفهمه بكل أبعاده اللغوية والبلاغية والجمالية وهو مايسمى بالدراسة الداخلية .

وعن طريق هاتين الدراستين المتلازمتين يصل الباحث إلى الدراسة المنهجية المفيدة التي تؤدي إلى البحث الجيد المطلوب .

ولابد في كل ذلك من أن يبدأ الباحث أو المحقق باستشارة المصادر والمراجع ـ كما قلنا ـ والعودة إلى النصوص الأصلية التي يعتمد عليها الباحثون . وهناك كما أشرنا مراجع عامة يبدأ الباحث منها خطواته وهي مفاتيح للدراسة ولابد من أن يعود إليها كالموسوعات المتخصصة ومافي حكمها من كتب الأدب الواسعة وكتب التراجم وكتب الفهارس أي «البيبليوغرافات» ولاسيما البيبليوغرافات الحديثة ـ وإن كانت قليلة وقد صدر منها في بعض الموضوعات ـ حتى يستوفي البحث أسبابه ويخرج سليماً من كل شبهة ، وذلك بحسب ما تسمح به طاقة الباحث وجهده ومقدرته الأدبية واللغوية .

يتضح ، مما سبق ، أن منهج البحث الأدبي يقوم على تحقيق النص أو على قراءته محققاً ، وعلى فهمه لغوياً وأدبياً وإماطة اللثام عن ظروفه التاريخية ، والإحاطة بدلالاته المختلفة من اجتماعية ونفسية وفلسفية لنصل ، من خلال دراسته وحلّ رموزه، إلى فهم ما يمثله من إبداع أدبي وموقف إنساني . ولعلّ دراسة هذه الدلالات ، ولاسيما الجمالية منها ، تقع على عاتق الأدباء والنقاد أكثر مما تقع على عاتق المحققين .

والله الموفق

ثبت المراجع

إسماعيل (عز الدين): التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت (د.ت).

أمين (أحمد) : النقد الأدبي، جزءان ،ط٤، القاهرة ١٩٧٢.

بدوي (عبد الرحمن): مناهج البحث العلمي ، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٧.

برجشتراسر (غ): أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩.

حسين (طه) : في الأدب الجاهلي ، ط٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٣. (يرجع إلى الصفحات المتعلقة بالأدب وتاريخه ص ١-٥٧).

الحَلْوجي (عبد الستار): مدخل لدراسة المراجع ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٤.

حسان (تمام): مناهج البحث في اللغة ، ط٢، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٤.

رستم (أسد): مصطلح التاريخ، المطبعة الأمريكية ، بيروت، ١٩٣٩.

شلبي (أحمد): كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٤.

شوميه (جاك): أصول التوثيق، ترجمة أنطون عبده، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٤ .

ضيف(شوقي): البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

الطاهر (علي جواد): منهج البحث الأدبي ، ط٣، بغداد ١٩٧٦ .

عبد الرحمن (عائشة) «بنت الشاطىء» : مقدمة طبعتها المحققة لرسالة الغفران . (يرجع إلى رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، تحقيق بنت الشاطىء) دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

عثمان (حسن) : منهج البحث التاريخي، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦ .

عميره (عبد الرحمن): أضواء على البحث والمصادر، ط٤، دار الجيل،بيروت ١٩٨٦ .

فيصل (شكري): مناهج الدراسة الأدبية، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨ .

لانسون ومايه: منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة محمد مندور (طبع ملحقاً بكتاب محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب) دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢ .

المقداد(محمود): قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وهو الترجمة العربية لكتاب المستشرقَيْن

الفرنسيين بلاشير وسوفاجيه)، دار الفكر، دمشق ١٩٨٨ .

ملحس (ثريا عبد الفتاح): منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٠ .

المنجد (صلاح الدين): قواعد تحقيق المخطوطات ، ط٤، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠ .

مندور (محمد): النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢ .

نجم (محمد يوسف): نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٨٥ .

هارون(عبد السلام): تحقيق النصوص ونشرها ، ط٢، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٥ .

هلال (محمد غنيمي): النقد الأدبي الحديث ، دار العودة، بيروت ١٩٨٨ .

ويليك (رينيه) و وارين (أوستن): نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي ومراجعة حسام الخطيب، دمشق ١٩٧٢ .

Blachère (Régis) et Sauvaget (Jean): Règles pour éditions et traductions de textes arabes, <Association Guillaume Budé>, Paris1945.

Mornet (Daniel): Comment préparer et rédiger une dissertation, éd. Boivin, Paris 1939.

فهرس

مقدمة : (في منهج البحث الأدبي) ٥
الفصل الأول : **البحث العلمي ، ما هو ؟**..... ١١
أنواع البحث :(المقالة والرسالة ـ دعائم الرسالة) ... ١٣
مؤهلات الباحث وصفاته..... ٢٠
الفصل الثاني: طريق البحث وخطته ٢٥
١ ـ اختيار الموضوع..... ٢٥
٢ ـ واجبات المشرف وواجبات الطالب ٢٩
٣ ـ خطة البحث ٣٤
الفصل الثالث : **إعداد البطاقات وجمع المعلومات** ٣٧
١ ـ إعداد البطاقات والإضبارات الناظمة أو الملفات.. ٣٧
٢ ـ جمع المعلومات وتدوينها«التقميش » ٤٣
الفصل الرابع : **كتابة الرسالة ـ التحرير** ٤٩
اللغة والأسلوب ٥٤
الفصل الخامس : **إخراج الرسالة ومناقشتها** ٥٧
مضمون الرسالة ٥٧
الاقتباس ٥٨
الحاشية أو الهامش ٥٩

الملاحق أو التوابع أو الذيول ٦٤
الفهارس ٦٤
حجم الرسالة ٦٥
طبع الرسالة ومناقشتها ٦٦
صل السادس : تحقيق النصوص والمخطوطات ٧٣
١ ـ اختيار المخطوط ٧٥
٢ ـ المخطوطات الوحيدة والمخطوطات المتعددة .. ٧٦
٣ ـ التحقيق وملحقاته :(الشروح والتراجم ـ
الفهارس أو الكشّافات ـ الأقواس والرموز) ... ٧٩
التحقيق في النصوص الحديثه ٨٤
، المراجع ٨٧
س ٩١

من كتب المؤلف

١ – الشعر الدنيوي في العصر الأيوبي وممثلوه الأساسيون (باللغة الفرنسية) باريس ١٩٤٩ .
٢ – دارالطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك (تحقيق) ط٣، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٠.
٣ – في الأدب الأندلسي ،ط ٥، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠.
٤ – الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ط٢ ، دمشق ١٩٧٠.
٥ – طرق تدريس اللغة العربية ،ط ٣ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٦ .
٦ – الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار ،ط ٢، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٣.
٧ – مبادىء تخطيط التعليم (ترجمة عن الوثائق التربوية لليونسكو رقم ٤٥) إصدار مجلة المعلم العربي ، دمشق ١٩٦٧.
٨ – الوافي في الأدب العربي الحديث (بالمشاركة) ط ٢ ، دمشق ١٩٦٤.
٩ – الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي (بالاشتراك مع جميل سلطان) دمشق ١٩٦٣.
١٠ – الأدب العربي ونصوصه (بالمشاركة) وزارة المعارف السورية، دمشق ١٩٥٦.
١١ – منهج البحث الأدبي في إعداد الرسائل الجامعية ،ط ١، دار ممتاز للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٩٢.

القسم الثانى

مناهج البحث الأدبى

في القرن التاسع عشر سجلت الحياة العقلية فى أوربا نهضة رائعة فى العلوم الطبيعية والتجريبية، وأخذت مناهج هذه العلوم تفرض سلطانها على عقول الناس ، وتسيطرعلى تفكيرهم ، وراحت تجتذب إليها طائفة من مؤرخي الأدب أخذوا ينادون بمحاولة تطبيق هذه المناهج على الدراسات الأدبية ، وإخضاعها لأساليبها وقواعدها وقوانينها العلمية، وارتفعت ثلاث صيحات تدعو إلى هذه المحاولة أو التجربة الجديدة .

ارتفعت صيحة " سانت بيف Sainte - Beuve" (١٨٠٤ - ١٨٦٩) تدعو إلى تطبيق قوانين علم النبات على تاريخ الأدب، وإخضاع دراسته لمناهجه العلمية، واصطناع أساليب علمائه حين يصنِّفون أنواع النبات المختلفة في فصائل متميزة تتشابه كل فصيلة منها فى الدراسات الأدبية عن طريق دراسة شخصيات الأدباء من شتى جوانبها ، لمعرفة الخصائص التي ينفرد بها كل منهم دون سواه ، والصفات التى يشترك فيها مع غيره ، وهى معرفة تيسِّر على الباحث تصنيف هؤلاء الأدباء فى مجموعات متجانسة ، تشترك كل مجموعة منها فى خصائص وصفات مميزة لها ، أو - بعبارة أخرى - تصنيفهم فى مدارس أدبية تتميز كل مدرسة منها بطابع عام يشترك فيه أفرادها جميعا .

وارتفعت صيحة " تين Taine " (١٨٢٨ – ١٨٩٣) تدعو إلى تطبيق مناهج التاريخ الطبيعى وما يقرره علماؤه من تأثير الجنس والزمان والمكان في الكائن الحى ، فقد ذهب إلى أن هذه العوامل هى نفسها المؤثرة فى الأدب ، بل فى الفن عامة ، وأنها هى القوانين الثلاثة التى يخضع لها الأدباء والفنانون خضوعا حتميا لامفر منه ، فكما أن الانسان صنع الوراثة والبيئة والزمان ، فكذلك الأدب نتاج للجنس والزمان والمكان أكثر منه نتاجا فرديا خالصا ، فلكل جنس صفاته البشرية المؤثرة في طباعه وسلوكه وشخصيات أفراده ، ولكل زمان ظروفه السياسية والاجتماعية والعقلية التى تطبعه بطوابع معينة ، ولكل مكان خصائصه الطبيعية والإقليمية التى تجعل منه بيئةجغرافية مختلفة عن غيرها من البيئات ، وهذه العوامل الثلاثة كما تؤثر فى الكائنات الحية فتطبيعها بطوابعها المميزة تؤثرأيضا في الأدب فتعطيه صفات وخصائص معينة .

وارتفعت صيحة " برونتيير Brunetiere" (١٨٤٩ – ١٩٠٦) تدعو إلى تطبيق نظرية " دارون " المشهورة في النشوء والارتقاء أوتطور الأنواع ، على أساس أن الفنون الأدبية – كالكائنات الحية – تخضع لنفس القانون فى نشوئها وتطور أشكالها، وأنها –مثلها – يتولد بعضها من بعض . ووضع برونتييرنظريته الجديدة فى تطور الأشكال الأدبية ، ومضى يطبقها على ثلاثة من فنون الأدب

الفرنسى فى عصره المسرح والشعر الغنائى والنقد الأدبى ، فتتبع طريق نشأتها وتطورها ، وانتهى إلى أنها تمضى فى نفس الطريق الذى تمضى فيه الكائنات الحية خاضعة لنفس القانون الذى تخضع له هذه الكائنات فى نشوئها وارتقائها وتطور أنواعها بعضها من بعض ، فالشعر الغنائى - مثلا - الذى عرفته الحركة الرومانسية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر لم يتطور عن شعر غنائى مثله ، وإنما تولد من الوعظ الدينى الذى كان معروفا فى فرنسا فى القرن السابع عشر (١)

ولكن هذه الصيحات الجديدة التى استمع إليها القرن التاسع عشر لم تلبث أن هدأت مع مطالع القرن العشرين تحت تأثير نمو العلوم الإنسانية وتقدمها ، وما ترتب على ذلك من إدراك علاقات جديدة بين الأدب وهذه العلوم تقوم مقام العلاقات القديمة التي حاول مؤرخو الأدب فى القرن الماضى عقدها بينه وبين العلوم الطبيعية ، فقد لاحظ مؤرخو الأدب أنه أقرب إلى العلوم الانسانية منه إلى العلوم الطبيعية . وأن المنهج الصحيح لدراسته يجب أن يستمد قواعده وقوانينه من هذه العلوم الانسانية لامن العلوم الطبيعية ، وأنه لهذا يجب أن يتجه إلى الدراسات التاريخية

---

(١) انظر جوستاف لانسون تاريخ الأدب الفرنسى - الجزء الثانى
ترجمة الدكتور محمود قاسم ، ومراجعة الدكتورة سهير القلماوى

والاجتماعية والنفسية وغيرها من الدراسات الإنسانية ، لينتفع بما حققته من تقدم وتطور ، ومانتهت إليه من نتائج ، وما استخدمته من مناهج ، وبدأت تظهر بين مؤرخى الأدب ونقاده اتجاهات جديدة نحو النظريات التاريخية والاجتماعية والنفسية ونحوها مما وصلت إليه مجموعة العلوم الإنسانية ، من أجل استخدامها والانتفاع بها فى الدراسات الأدبية، وبدأنا نرى محاولات قوية لدراسة الأدب من وجهة النظر النفسية أوالاجتماعية أو الجمالية أو غيرها من وجهات النظر المختلفة التي تتجه إليها هذه العلوم الإنسانية، وتعددت – تبعا لذلك –مناهج الدراسة الأدبية ، ومضى مؤرخو الأدب يبحثون عن مناهج جديدة يحاولون تطبيقها على دراستهم ، وراح كل باحث يصطنع منهجا لدراسته من الزاوية التى يريد أن ينظر إلى الأدب منها . ومن الأمور المقررة فى علم مناهج البحث أن المناهج ليست أشياء ثابتة ، ولكنها فى تغير مستمر مع تطور العلوم وتجدد مطالبه وحاجاته ، لأن المفروض فيها أن تفى بمطالب العلم المتجددة وحاجاته المتطورة . ومن هنا كان طبيعيا أن تكون فى تغير مستمر، وأن تكون قابلة للتعديل والتطوير، بل من الطبيعى أن ترفض أحيانا إذا ما ثبت أنها لم تعد صالحة أو ملائمة . ولا يمكن العلم أن يتقدم أويتطور أو يتجدد فى ظل مناهج متجمدة متحجرة ، وإنمايجب أن تظل المناهج فى حركة دائبة لتساير حركة العلم المستمرة دائما .

To: www.al-mostafa.com

فى ضوء هذه الفكرة يصبح من غير الطبيعى أن نحاول حصر كل أشكال المناهج الأدبية التى تعرفها دراسة الأدب العربى في العصر الحديث ، لذلك سنكتفى بعرض المناهج الأساسية التى تمثل الاتجاهات الكبرى فى هذه الدراسة

(١) المنهج التاريخى

وهو أول هذه المناهج وأقدمها منذ أن التفت علماؤنا إلى أهمية دراسة الأدب العربى دراسة منهجية على نحو مايفعل المستشرقون. ويقوم هذا المنهج على أساس تتبع الأدب العربى تتبعا تاريخيا في رحلته الطويلة عبر التاريخ منذ نشأته الأولى فى الجزيرة العربية إلى أن انتشر في شتى أقاليم الدولة الاسلامية العريضة الممتدة امتدادها التاريخى المعروف ، رابطا بين حركة هذا الأدب وتطوره وبين العصور السياسية التى مرت بها الدولة العربية منذ العصر الجاهلى حتي العصر الحدث .

وقد جرى الباحثون فى الأدب العربى على أساس هذا المنهج التاريخى على تقسيم هذا الأدب إلى خمسة عصور تاريخية وفقا للعصور السياسية

(١) **العصر الجاهلى** الذى يبدأ بداية عير محددة تماما وينتهى بظهور الاسلام . وقد جرى الباحثون على أن بداية هذا العصر

كانت قبل الإسلام بحوالى قرن ونصف قرن أو قرنين على أبعد تقدير ، وهو تحديد ذهب إليه الجاحظ من قبل [1] ، وهو يعود بنا إلى حادثة تاريخية ضخمة كانت لها آثارها البعيدة فى تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وهى حرب البسوس .

(٢) **العصر الإسلامى** يبدأ بظهور الرسول صلي الله عليه وسلم وينتهى بسقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ للهجرة (٧٥٠م) . وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية . وتمت الفتوح الإسلامية الكبرى . ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر إلى قسمين : فهو إلى نهاية عصر الراشدين عصر صدر الإسلام ، ومايليه إلى نهاية الدولة الأموية العصر الأموى .

(٣) **العصر العباسى** وهو فى تحديده الواسع يمتد من قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠م ، ويستمر حتي سقوط بغداد فى أيدى التتار فى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . ولكن بعض المؤرخين يقسمون هذا العصر إلى قسمين العصر العباسى الأول ويمتد مائة عام حتى خلافة الواثق التى انتهت سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٨م . والعصر العباسى الثانى ويمتد من هذا التاريخ بدوره إلى قسمين ، فيجعل العصر العباسى الثانى إلى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م

(١) " فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام " (الحيوان ٧٤/١ طبعة الحلبى) .

وهى السنة التى استولى فيها البويهيون على بعداد ، وأصبحت الخلافة العباسية بعدها اسمية فقط ، ثم يجعل عصراً عباسياً ثالثا يمتد بعد ذلك حتى سقوط بغداد . ومن المؤرخين من يجعل هذا العصر الثالث عصرين العصر العباسى الثالث ويمتد إلى دخول السلاجقة بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م ، ثم العصر العباسى الرابع بعد ذلك حتى سقوط بغداد

(٤) **عصر الدول المتتابعة** ، ويمتد هذا العصر من سقوط بغداد إلى بداية العصر الحديث التى يؤرخون لها بنزول الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م.

(٥) **العصر الحديث** يبدأ بنزول الحملة الفرنسية بمصر ، ويمتد حتى أيامنا الحاضرة .

وأقدم كتاب تناول الادب العربى على أساس هذا المنهج التاريخى هو كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لحسن توفيق العدل (١٨٦٢ - ١٩٠٤) الذى تخرج فى دار العلوم ثم سافر إلي ألمانيا لتدريس اللغة العربية فى المدرسة الشرقية ببرلين ، فجمع بين الثقافتين العربية والغربية . وهو أول من وضع نظرية الربط بين الأدب والعصور السياسية ، وتقسيم الأدب العربى إلى هذه العصور المعروفة . وهو يقول فى مقدمة كتابه «تاريخ أدب اللغة»

أنه تابع فى تقسيمه للتاريخ السياسى والدينى فى كل أن ، لأن الأحوال السياسية أو الدينية تكون فى العادة عامة ، فإماً أن تبعث الأفكار وتحرك الأميال لمزاولة المعار ف ، وإما أن تكون سببا في وقوف الحركة الفكرية فى الأمة بما يلحق السياسة أو الدين من ضعف ... وعلى هذا رأينا أن نقسم الكلام على تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة عصور عصر الجاهلية ، وعصر ابتداء الإسلام، وعصر الدولة الأموية ، وعصر الدولة العباسية والأندلس ، وعصر الدول المتتابعة إلى هذا العهد » .

وعلى هذا المنهج نفسه مضى احمد السكندرى فى كتابه «الوسيط» ، ومضى أحمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الأدب العربى » ومضي جرجى زيدان فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية» ، ومع اختلاف يسير في مسألة تقسيم العصور . وظلت لهذا المنهج سيطرته ، وأنفت على أساسه كتب كثيرة بعضها يتناول الآدب العربى فى شتى عصوره ، وبعضها يستقل بدراسة عصر من هذه العصور ، ولكنها تشترك جميعا فى الأساس المنهجى الذي تقوم عليه ، وهو ذلك المنهج التاريخ الذى يقسم حياة الأدب العربى إلى عصور تاريخية ، رابطا بينها وبين العصور السياسية التى مرت بها الأمة العربية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث . ثم تكون أحدث دراسة للأدب العربى على أساس هذا المنهج دراسة

الدكتور شوقى ضيف في سلسلة كتبه «تاريخ الأدب العربى» التى بدأ إصدارها فى سنة ١٩٦٠ بالكتاب الأول منها «العصر الجاهلى» ثم اعقبة بالكتابين الثانى والثالث «العصر الإسلامى» ، «العصر العباسى الأول» واعداً بإتمام حلقات السلسلة حتى العصر الحديث، وهو يصرح فى صدر الكتاب الأول منها [١] بأنه سيؤرخ فى هذه السلسلة للأدب العربى مفيدا من كل الدراسات السابقة ومناهجها ، وما أثير حولها من اعتراضات ، وأيضا من شتى مناهج البحث الأدبي التى ظهرت فى أوربا منذ القرن التاسع عشر ، مستضيئا فى أثناء ذلك بدراسات النفسيين والاجتماعيين ، وماتلقى من أضواء على الأدباء وآثارهم ، رافضا التقسيمات السابقة للعصر العباسى ، واضعاً أساسا جديدا لتقسيم هذا العصر ، حيث يقف به عند سنة ٣٣٤ للهجرة التى استولى فيها البويهيون على بغداد ، جاعلا منه عصرَيْن العصر العباسى الأول ، وينتهى بخلافة الواثق سنة ٢٣٢ ، والعصر العباسى الثانى الذى ينتهى فى سنة ٣٣٤ ، أما ما بعد هذا التاريخ إلى نهاية العصور الوسطى فقد جعله عصر مستقلا سماه «عصر الدول والإمارات» ، ثم يبدأ العصر الحديث بعد ذلك . وبهذا استقامت له قسمة تاريخ الأدب العربى إلى خمسة عصور العصر الجاهلى ، والعصر الإسلامى، ويشمل العصر

---

(١) انظر ص ١٢ – ١٥ (الطبعة الأولى ١٩٦٠ – دار المعارف بمصر)

الأموى ، ثم العصر الحديث ، وهو يبرر هذا التقسيم بقوله : «ولا أشك فى أن هذا التقسيم الجديد لعصور الأدب العربى أكثر دقة ومطابقة لتطوره وللظروف المختلفة التى أثرت فيه ، فإن بعداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجرى تحتل المكانة الأولى فى الحركات الأدبية ، بل لقد نافستها فى الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها فى النهوض بالشعر والنثر تفوقا واضحا .

على هذه الصورة كانت حركة المنهج التاريخى فى دراسة تاريخ الأدب العربى هذه الدراسة الشاملة عبر عصوره المتعاقبة . ولكن هذا المنهج لم يقف عند هذه الدراسة الشاملة فحسب ، وإنما استخدمه الباحثون – مع اتساع آفاق الدراسات الأدبية – فى دراسة شخصيات هذا الأدب وظواهره المختلفة أيضا ، وبدأنا نرى دراسات كثيرة لهذه الشخصيات وهذه الظواهر على أساس هذا المنهج ، يتتبع فيها الباحثون حياة الشخصية الأدبية أو الظاهرة الأدبية تتبعا تاريخيا يواكبها فى نشأتها وتطورها حتى يصل بها إلى نهاية الطريق الذى سلكته فى حياتها ، وحقا لقد استطاع هذا المنهج أن يرسم صورا واضحة لكثير من شخصيات أدبنا العربى ، وأن يحول كثيرا من الظواهر الأدبية إلى « قصص حياة» تكشف عن حركتها التاريخية فى تطورها المستمر المتصل ، ونستطيع أن نرى مثلين لاستخدام هذا المنهج فى دراسة الشخصيات والظواهر

الأدبية فى كتاب « مع المتنبى » للدكتور طه حسين ، وفى كتابى «حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة » ففى الكتاب الأول تتبع الدكتور طه حسين حياة المتنبى منذ أن تفتحت عيناه على الحياة في مدينة الكوفة حتى أغمضهما الموت على سيوف بنى ضبة فى طريق عودته من فارس إلى العراق ، وهو يصرح فى الصفحات الأولى من كتابه بأنه سيصحب المتنبى « فى طريقه القصيرة التى سلكها منذ ولد سنة ثلاث وثلاثمائة إلى أن مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة» (١) وهو في هذه الرحلة يمضى مع المتنبى فى طريق حياته ، متتبعا خط هذه الحياة من ناحية ، ومارافقها من شعر على امتداد هذا الخط من ناحية أخرى ، موزعا رحلته على خمس مراحل ترسم صورة واضحة «لقصة حياة المتنبى، ومن هنا قسم دراسته إلى خمسة فصول أو – كما يسميها – خمسة كتب تتبع هذه المراحل الخمس من خلال أحداث الحياة من ناحية ، وما صاحب هذه الأحداث من شعر صوَّرها وعبر عنها وسجل خطواتها من ناحية أخرى ، وهى تمضى على هذا النحو التاريخى الدقيق صبا المتنبى وشبابه ، ثم فى ظل الأمراء ، ثم فى ظل سيف الدولة ، ثم فى ظل كافور ، ثم أخيرا غنيمة الإياب ، أما

---

(١) انظر ص ٣٣ (الطبعة التاسعة – دار المعارف بمصر)

الكتاب الآخر فقد تتبع فيه صاحبه حياة الشعر فى الكوفة منذ تأسيسها فى خلافة عمر بن الخطاب حتى ظهور بغداد وزعامتها للمجتمع الإسلامى فى القرن الثانى للهجرة ، متخذا من المنهج التاريخى أساسا لدراسته . وهو منهج أتاح له متابعة جوانب الحياة المختلفة في الكوفة ، وتطور حركتها التاريخية على مدى هذين القرنين ، ومواكبة الشعر لها وإلى أى مدى كان صدي لأحداثها السياسية ، وانعكاسا لظوهرها الاجتماعية ، وصورة من نشاطها العقلى . ومن هنا كان طبيعيا أن تنقسم الدراسة إلى بابين · باب عن الحياة ، وباب عن الشعر ، وأن ينقسم كل باب إلى ثلاثة فصول تبحث فى الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة العقلية ومدى تعبير الشعر عنها وتصويره لها ، وفي كل فصل من هذه الفصول الستة يطل علينا المنهج التاريخى متتبعا حركة الحياة فى هذه المدينة ، وحركة الشعر فى مواكبته لهذه الحياة (١) .

(٢) المنهج النفسى

وهو منهج أخذ يجذب إليه اهتمام الباحثين فى الأدب العربى فى السنوات الأخيرة بعد أن تقدمت الدراسات النفسية وتعددت مدارسها وأخذت تفرض نفسها على كثير من مجالات الحياة

---

(١) حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (دار الكتاب العربى بمصر ١٩٦٨) .

الإنسانية ، وبعد أن أخذ العلماء يرون فيها وسيلة جديدة لمعرفة النفس الإنسانية والتغلغل فى أغوارها السحيقة ، والتعمق فى سراديبها الغامضة وكهوفها المجهولة ، وماتنطوى عليه من غرائز وعواطف ومكنونات ومكبوتات تؤثر شعوريا أو لاشعوريا فى تصرفات الإنسان وسلوكه فى الحياة شعوريا، ولما كان الأدب تعبيرا عن هذه النفس الإنسانية ، وتصويرا لما يدور فيها من مشاعر وانفعالات ، كان من الطبيعى أن تبدو أهمية الدراسات النفسية فى فهم العمل الأدبى . وفعلا ظهر من علماء النفس أنفسهم من وجه اهتمامه إلى الأعمال الأدبية يجرى تجاربه عليها ، من أجل الوصول إلى تفسير لهذه الأعمال من وجهة النظر النفسية، وإلى الكشف عن أسرار العبقرية والموهبة والإبداع الفنى ، وبدأ الاهتمام بذلك الفرع من فروع علم النفس الذى أطلقوا عليه « علم النفس الأدبى[1] » . وفى الجانب الآخر ظهر من مؤرخى الأدب من ولوا وجوههم شطر «علم النفس الأدبى» يحاولون استغلال نظرياته ، وتطبيق تجاربه على النصوص الأدبية يستخرجون منها دلالاتها النفسية على شخصيات أصحابها ، ويرفعون الحجب عما عليه من رموز وإشارات لما يدور فى أعماق النفس الإنسانية من مكبوتات

(١) انظر على سبيل المثال فى مكتبتنا العربية كتاب الدكتور مصطفى سويف ، الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩)

اللاشعور وعقد النقص والتفوق ، وما إلى ذلك مما يقف عنده أصحاب الدراسات النفسية ويديرون حوله بحوثهم ، من أجل رسم «صورة حياة» لهذه الشخصيات ، وأخذت المكتبة العربية تستقبل طائفة من الدراسات التى شغل أصحابها ببحث الصلة بين الأدب وعلم النفس، وتأصيل قواعد المنهج النفسى لدراسة الأدب العربى[1]. ومن خير ما استقبلته المكتبة العربية من هذه الدراسات الدراسة الجادة الخصبة التى قدمها الأستاذ محمد خلف الله أحمد تحت عنوان «من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده[2]» . وهى دراسة استطاع صاحبها – في ضوء ثقافته النفسية والأدبية - أن يحدد فى دقة علمية بالغة – طبيعة العلاقة بين الأدب وعلم النفس ، وأن يتتبع اتجاهات الباحثين فى الأدب من الوجهة النفسية ، وأن يرجع بهذه الاتجاهات إلى تراثنا النقدى القديم منذ ابن قتيبة والقاضى الجرجانى وعبدالقاهر الجرجانى .

وليس من شك فى أن هذه الدراسات النفسية للأدب العربى قد أمدته بوسائل جديدة لدراسته ، ووصلت بينه وبين نظريات حديثة كشفت عن جوانب كثيرة منه ، وقدمت للباحثين فيه منهجا على حظ

---

(١) انظر على سبيل المثال حامد عبد القادر دراسات فى علم النفس الأدبى (لجنة البيان العربى ١٩٤٩) وعز الدين اسماعيل التفسيرالنفسى للأدب (دار المعارف بمصر ١٩٦٣)

(١) من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية (الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠)

كبير من الطرافة والإثارة والحيوية . ولكن الواقع أن هذا المنهج لايتيسر تطبيقه بطريقه ناجحة تضمن الاطمئنان إلى نتائجه إلا إذا توافرت لدينا معلومات كافية عن الشخصية وتفسيرها وسبر أغوارها ، والتغلغل فى أعماقها السحيقة . ومما يؤسف له أن أكثر شخصيات أدبنا القديم لم يصل إلينا من أخبارها إلا القليل الذى لايسعفنا فى مجال هذا التحليل النفسى . ومن هنا تبرز المشكلة الأساسية في محاولة تطبيق هذا المنهج فى درس أدبنا القديم ، فمعلوماتنا عن حياة أصحابه ضئيلة ضالة لاتجعلها صالحة لهذه الدراسة النفسية ، ومع ذلك فإننا لانعدم من بينهم نماذج نفسية طيبة أمدنا الرواة بطائفة صالحة من المعلومات عن حياتهم ، ويقدر لابأس به من التفصيلات المفيدة فى استكمال الصورة النفسية لهم، مما يجعلهم موضوعات صالحة للدراسة النفسية ، من أمثال الحطيئة وعمر بن أبي ربيعة في العصر الإسلامى ، وبشار وأبي نواس وأبى العتاهية وابن الرومى والمتنبى فى العصر العباسى .

ولكن ليست هذه هى المشكلة الوحيدة فى محاولة تطبيق هذا المنهج وإنما هناك مشكلة أخرى تأتى من حيث أن الأدب نفسه بكل ماتنطوي عليه في أعماق الشعور ليس دائماً تعبيراً دقيقاً تماماً عن نفسية الأديب أو مرآة صادقة تعكس أغوار اللاشعور ، وهي قضية مقررة فى النقد الأدبى ، فقي كل عمل أدبى جانب صناعى يعتمد إلى حد بعيد على الخبرة المكتسبة وماتجيده من

عمليات التوشية والزخرف ، وماتحسنه من عمليات السبك والصياغة، وهى عمليات يداخلها كثير من التقليد والتزييف الذى يحجب الرؤية الصحيحة ، ويحول دون استشفاف الواقع النفسى الحقيقى ، وقديما قال نقادنا العرب «أعذب الشعر أكذبه» ومعنى هذا أننا يجب ألا نتوقع دائما ظهور نفسية الأديب أو شخصيته في كل عمل أدبى ينتجه، فالنتاج الأدبى لأديب من الأدباء ليس كله صالحا للدلالة على شخصيته أو لاستشفاف نفسيته ، ومن هنا كان لابد لنا من أن نميِّز بين لونين من هذا النتاج : ماهو تعبير صادق عن ذات الأديب ونفسيته ، وما هو تعبير دخلت فى نسيجه الفنى خيوط الصناعة والتقليد والتزييف . ومن هنا أيضا كان الأدباء الذاتيون الذين يتخذون من ذواتهم موضوعات لأعمالهم الأدبية هم خير النماذج لتطبيق هذا المنهج النفسى .

وعلى الرغم من ذلك فقد أغرى هذا المنهج - بطرافته وجدته - عدداً من الباحثين على اصطناعه ، ومحاولة دراسة بعض شخصيات أدبنا العربى على أساسه ، وهى محاولات أغنت المكتبة العربية بطائفة من هذه الدراسات على نحو مانرى فى دراسات الأستاذ عباس محمود العقاد . أبونواس الحسن بن هانى دراسة فى التحليل النفسانى والنقد التاريخى ، وابن الرومى حياته من شعره ، و« شاعر الغزل» ، والأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى

«بشـار» فى سلسلة أعـلام الإسـلام ، و «ابن الرومى» فى كـتـابه «حصـاد الهشيم» ، والدكتور محمد النويهى «شخصية بشار» و«نفسية أبى نواس» والدكتور مصطفى ناصف · «رمز الطفل · دراسة فى أدب المازنى «وأيضا فى مقالاتى عن» بشار بن برد التفسير النفسى والاجتماعى لشخصيته وشعره[1] و «عن مطالع الكافوريات وكيف تصور نفسية المتنبى» [2] . ففي هذه الدراسات وأمثالها نرى صور من محاولة اصنطاع المنهج النفسى فى دراسة الأدب العـربى وتطبـيق مـاوصل إليـه علمـاء النفس من نتـائج ، ومـاانتـهوا إليه من نظريات ، على أساس «النرجسية» ويدرس ابن ابى ربيعة على أسـاس «الأنثوية» ويدرس ابن الرومي على أساس «العصابية» ، والمازنى يدرس بشارا على أساس «عقدة الجنس» فى حين درسته على أساس «عقدة النقص» .

(٣) المنهج الاجتماعى

وهو كالمنهج النفسى من المناهج الحديثة التى أخذت تجذب إليها اهتمام الباحثين فى الأدب العربى فمع ظهور علم الاجتماع وتقدم دراساته ، وتعدد اتجاهاته ومدارسه ونظرياته وما تحاوله من

(١) مجلة الثقافة (القاهرة) الأعداد ٦٧٢، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٨٢ (سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢) .

(٢)مجلة " لمجلة " (القاهرة) العدد ١٦ – ابريل سنة ١٩٥٨ .

دراسة المجتمعات البشرية المختلفة ، ومدى تأثيرها على أفرادها ، ومدى استجابتهم لهذا التأثير أو تمردهم عليه ومايكون بينهم وبين مجتمعاتهم من توافق اجتماعى ، أو فقدان لهذا التوفق وماتنطوى عليه الحياة الاجتماعية من رواسب الحياة البدائية ، وما استقر فى ضميرها الجماعى من أوهام هذه الحياة وأساطيرها وخرافاتها ، ثم مايصل بهذا كله من موازين اقتصادية تؤثر فى حياة الجماعة كما تؤثر فى حياة الأفراد ، ومايصيب هذه الموازين من اعتدال او اختلال، ومايترتب على ذلك من استقرار الحياة الاجتماعية أو اضطرابها واطمئنان الفرد إلى مجتمعه أو تمرده عليه ، مع ظهور هذه الدراسات الاجتماعية والاقتصادية ظهر من الباحثين فى الأدب العربي من حاول تطبيق ما انتهت إليه هذه الدراسات من نتائج على هذا الأدب من أجل الكشف عن مدى التفاعل الحتمى بين الأديب والمجتمع الذى يعيش فيه ، ومايخلعه هذا التفاعل على أعماله الأدبية من سمات وخصائص وطوابع مميزة .

وبقدر مايصلح المنهج النفسى لدراسة الشخصيات الأدبية يصلح هذا المنهج الاجتماعى لدراسة الظوهر الأدبية ، وذلك لأن الشخصية الأدبية من الممكن أن تكون نموذجا نفسيا صالحا للدراسة ولكنها لايمكن أن تشكل وحدها ظاهرة اجتماعية ، وحتى في تفاعلها الاجتماعى مع المجتمع الذي تعيش فيه فإن مظاهر هذا التفاعل

تنعكس علي حياتها النفسية ، أما الظواهر الأدبية فإنها بحكم طبيعتها مرتبطة إلى حد بعيد بالظواهر وطبيعتها ، فالفرزدق – مثلا – نموذج نفسى على قدر كبير من الطرافة والإثارة ، ومن الممكن أن يكون موضوعا لدراسة نفسية طيبة ، لكن ظاهرة النقائض فى الشعر الأموى التي كان الفرزدق أحد فحولها الثلاثة تبدو ظاهرة اجتماعية أكثر منها ظاهرة نفسية لأنها نشأت مرتبطة بظروف اجتماعية معينة هى تلك التى حولت الهجاء العربى من صورته الجاهلية القديمة إلى الصورة الأموية التى نعرفها . ومن هنا نستطيع أن نتخذ منها موضوعا لدراسة اجتماعية طيبة . وكذلك الشأن مع شاعر آخر كعمر بن أبى ربيعة فهو نموذج نفسى يصلح لدراسة نفسية خصبة ، ولكن ظاهرة الغزل الحجازى فى عصر بنى أمية التى يعد عمر أقوى معبِّر عنها وأدق ممثل لها ، ظاهرة ادبية مرتبطة بظروف اجتماعية معينة ، فهى لذلك صالحة لدراسة اجتماعية طيبة .

ونستطيع أن نرى مثلا لهذا المنهج الاجتماعى فى دراسة الأستاذ أحمد الشايب لظاهرة النقائض فى الشعر العربى [1] . وهى دراسة قامت على أساس أن هذه الظاهرة الأدبية نشأت وتطورت حتى بلغت ذروة اكتمالها فى العصر الأموى فى ظل

(١) تاريخ النقائض فى الشعر العربى (طبعة مكتبة النهضة المصرية)

ظروف اجتماعية معينة ترجع أساسيا إلى فكرة «العصبية» التى قام عليها النظام الاجتماعى فى العصر الجاهلى ، وما كان من عودة هذه العصبية إلى الحياة فى ظل السياسة الأموية التى أيقظت الفتنة النائمة بعد أن حاول الإسلام جاهدا إخمادها ، فالنقائض ظهرت فى العصر الجاهلى بسبب هذه العصبية القبلية ، ثم عادت مرة أخرى إلى الحياة فى العصر الأموى حين عادت هذه العصبية من جديد إلى الحياة وعادت معها حياة العرب الاجتماعية جاهلية في أكثر من جانب من جوانبها .

وعلى أساس هذا المنهج الاجتماعى أيضا قامت دراستى لظاهرة الصعلكة فى العصر الجاهلى [1] ، وهى ظاهرة وثيقة الصلة بطبيعة الحياة الاجتماعية فى هذا العصر ، تأثرت بها فى ظهورها ، كما تأثرت في اتجاهاتها ، لقد وقف الباحث أمام هذه الظاهرة يحاول الكشف عن أسبابها ودوافعها ، وعن العوامل التى وقفت وراءها تحركها وتوجهها ، وانتهى إلى أنها ترجع أساسيا إلى طبيعة تكوين المجتمع القبلى فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وما كان من إيمانه بوحدة الدم وعنصرية الجنس إيمانا جعل مجتمع القبيلة العربى القديم ينفى عنه العناصر الغريبة التى لايجرى فى عروقها الدم العربى النقى ، ولايعترف لها بحقوقها الطبيعية فى الحياة ،

---

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى (طبعة دار المعارف بمصر) .

وماكان أيضا من إيمانه بقانون «العصبية» الذى لم يكن يعترف بأى خارج عليه أو متمرد على تقاليده المقدسة ، ومن هنا تراءت هذه الظاهرة أمام الباحث صورة من صور «اللاتوافق الاجتماعى» بين الفرد ومجتمع ، وعلى أساس هذه الفكرة الاجتماعية قامت دراسة هذه الظاهرة .

وعلى أساس هذا المنهج أيضا قامت دراستى لظاهرة الحب العذرى التى انتشرت فى مجتمع البادية فى العصر الأموى [1]، وهى دراسة انتهيت فيها إلى إثبات أن هذا اللون من الحب ظاهرة اجتماعية ارتبطت فى نشأتها وظهورها بطبيعة مجتمع البادية فى العصر الجاهلى ، وأن تطورها واتساعها فى العصر الأموى مرتبطان بما أصاب هذا المجتمع من تغيرات في عصر بنى أمية . وفي هذا قلت فى مقدمة هذه الدراسة «فالحب العذرى ليس حبا أمويا ، ولاحبا انفردت به عذرة وحدها ، ولكنه حب البادية العربية في جميع عصورها ، فهو نبت صحراوى أصيل . عرفته البادية العربية منذ أقدم عصورها وظلت ترعاه ، وتمد له الأسباب ، حتى نما وازدهر فى ظل بنى أمية [2] وقلت فى نهايتها مؤكدا الفكرة نفسها «الحب العذرى ليس ثمرة للحياة الأموية ، وليس له من هذه

(١) الحب المثالى عند العرب (سلسلة اقرأ - العدد ٢٢٠ ابريل ١٩٦١ دار المعارف بمصر)

(٢) ص ٦ .

الحياة سوى اسمه فقط ، وإنما هو قديم منذ العصر الجاهلى ، وثمرة للحياة الاجتماعية فى هذا العصر[1] ، وعلى أساس هذا المنهج كان تفسيره لانتشار هذا الحب فى العصر الأموى بأنه «ظاهرة اجتماعية انتشرت كما تنتشر سائرالظواهر الاجتماعية على أساس من العدوى والتقليد[2]» .

(٤) المنهج الجمالى

وهو منهج يقصد به إلى دراسة القيم الجمالية فى العمل الأدبى، من أجل تقويمه ووضعه فى مكانه الصحيح بين الأعمال الادبية الأخرى التى تمثل التطور الفنى لتاريخ الأدب ، وهو لذلك يتقارب إلى درجة كبيرة من مناهج النقد الادبى ، ومن هنا كان طبيعيا أن يكون الأساس الذى يقوم عليه أساسا نقديا .

وقد اتجه هذا المنهج فى دراسة الأدب العربى اتجاهين أساسيين اتجه – من ناحية – إلى دراسة الشخصيات الأدبية ، واتجه – من ناحيه أخرى – إلى دراسة الظواهر الأدبية ، وقد أثبت هذا المنهج – من واقع الدراسات الكثيرة التى قامت على أساسه – أنه صالح لكلا الاتجاهين ، ومن هنا كان أشد المناهج الأدبية ذيوعا في دراسة الأدب العربي وأوسعها انتشارا بين الباحثين فى هذا الأدب .

---

(١) ص ٩٦ (٢) ص ١٦

ويقوم الاتجاه الأول على أساس اختيار شخصية أدبية ، واتخاذها موضوعا لدراسة مستقلة مفصلة ، من أجل تقويم الدور الأدبى الذى قامت به في مجال تخصصها الموضوعى، وقياس مستواها الفنى بالنسبة لغيرها ممن يدورون معها في نفس المجال ، وواضح أن محور الدراسة فى هذا الاتجاه هو التراث الأدبى الذي خلفته هذه الشخصية ، فهذا التراث هو المركز الأساسى الذي يجب أن تركز عليه الأضواء من أجل استجلاء ملامحه ، والكشف عن أسراره الفنية وخصائصه المميزة له . ولكن هذا التراث نتاج شخصية أدبية هى التى أبدعته وخلقته ، وهى التى أعطته طاقاتها الفنية والعقلية حتى استوى على هذه الصورة التى هى موضوع البحث ، ومن هنا كان من الضروري الوقوف عند هذه الشخصية منتجة هذا التراث ومبدعة هذه الصورة قبل أن نقف عند التراث نفسه من أجل دراستها ، وتتبع خط حياتها ، والكشف عن مقوماتها الخلقية والاجتماعية والعقلية وتبين ملامحها وسماتها المميزة لها والمؤثرة فيها . ولكن هذه الشخصية بدورها نتاج بيئة وعصر تأثرت بهما وتفاعلت معهما ، واستجابت لمؤثراتهما استجابة تتفاوت بمقدار تلاؤمها النفسى وتوافقها الاجتماعى معهما، ولايمكن أن نفهم هذه الشخصية فهما صحيحا أو نضعها في موضعها الطبيعى فى الحياة بدون دراسة البيئة التى اتصلت بها ، والعصر

الذى عاشت فيه ، ومن هنا كان لابد من الوقوف عند البيئة والعصر لدراستهما قبل أن نتقدم إلى دراسة الشخصية نفسها ، ومعني هذا أن هناك ثلاث دوائر متفاوتة الاتساع تدور فيها هذه الدراسة دائرة البيئة والعصر ، ثم دائرة الحياة ، ثم دائرة العمل الفنى . وسلامة المنهج تقتضى بأن نبدأ باشدها اتساعا وهى الدائرة الأولى التى تمثل المسرح الذى تحركت عليه هذه الشخصية ولعبت فوقه دورها التاريخى والفنى مع غيرها من الشخصيات التى تحركه معها على هذا المسرح ، ثم نخرج منها إلى الدائرة الأقل اتساعا ، دائرة الحياة ، لنقف فيها عند الشخصية موضوع الدراسة وحدها ، أو بعبارة أخرى - لنقف عند «البطل» الذى تتركز عليه الأضواء ، ثم نصل فى النهاية إلى الدائرة الأخيرة التى نقف فيها عند التراث الأدبى الذى خلفته هذه الشخصية ، أو عند الأعمال الفنية التى أنتجها هذا البطل ، وهى النتاج الطبيعى لتفاعل الجوانب المتعددة التى وقفنا عندها فى الدائرتين السابقتين ، ولكننا نستطيع أن نتخفف قليلا من التزام هذا القانون الثلاثى ، فنستغنى عن الدائرة الأولى أو نتحول بها إلى تمهيد للبحث ، وذلك عندما تبدو جوانب الدراسة فى هذه الدائرة موضوعات سبقت دراستها عند المتخصصين . وعلى ذلك أكثر الدراسات الحديثة .

أما الاتجاه الآخر الذى يقف عند الظواهر الأدبية فإنه يتحرك فى خطوتين فى الخطوة الأولى نقف عند الأعمال الأدبية المختلفة التى تشكل الظاهرة الأدبية موضوع الدراسة من أجل معرفة القيم الجمالية التى تشترك فيها ، والخصائص الفنية التى تميز بعضها من بعض ، ثم تاتى الخطوة الثانية وهى تصنيف هذه الأعمال الأدبية فى مجموعات ، تمثل كل مجموعة منها مذهبا فنيا متميزا أو مدرسة فنية مستقلة . وواضح أن هذا المنهج يعد – من بعض جوانبه – تطبيقا لمنهج «سانت بيف» الذي أشرنا إليه من قبل ، والذي نادى فيه باصطناع منهج علماء النبات فى تصنيفهم أنواع النبات المختلفة فى فصائل وأسر ، تمهيداً لدراسة ماتمتاز به كل فصيلة أو أسرة من خصائص ، وما تشترك فيه جميعا من صفات.

ونستطيع أن نرى أمثلة للاتجاه الأول فى دراسات الدكتور طه حسين التى أدارها حول كثير من شخصيات أدبنا العربى في «حديث الأربعاء و « من حديث الشعر والنثر» و «مع أبى العلاء فى سجنه» و «تجديد ذكرى أبى العلاء» ، و «حافظ وشوقى» وغيرها من هذه الدراسات الخصبة الرائعة ، وأيضا فى دراسات الدكتور شوقى ضيف عن «شوقي شاعر العصر الحديث» . البارودى رائد الشعر الحديث » و «دراسات فى الشعر المعاصر» وكذلك فى

دراستى عن «ذى الرمة شاعر الحب والصحراء» ففى هذه الدراسة[1] وقفت أمام شخصية هذا الشاعر الأموى فى محاولة لإنصافه من عصره الذى لم يحسن تقديره ، ولم ينزله منزلته الفنية التى هو جدير بها ، لالشئ ألا لأنه اتخذ لنفسه مذهبا في الشعر يختلف عن مذاهب «فحول» عصره التى فرضوها على المجتمع الأدبى فى عصرهم . ومن أجل تقويم الدور الفنى الذى قام به ذو الرمة فى عصره اصطنعت هذا المنهج الجمالى ، ولكن فى صورته الثنائية ، فلم أقف عند دراسة العصر بعد أن أصبحت صورته العامه - من خلال الدراسات الكثيرة التى وقفت عنده واضحة بحيث يصبح الحديث عنها ضربا من التكرار والعادة لاجديد فيه . وعلى هذا الأساس انقسمت الدراسة إلى بابين : باب في دراسة الشاعر وباب فى دراسة شعره ، وفى كلا البابين اتكأت الدراسة اتكاء قويا على المجموعة الفنية التى خلفها الشاعر ، والتى تراءت لى صورة دقيقة معبرة عن حياته وفنه .

أما الاتجاه الآخر فنستطيع أن نرى ممثلين له فى كتاب «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » و كتاب « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » للدكتور شوقى ضيف[2] ، وهما كتابان يحاولان تصنيف

---

(١) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠

(٢) طبع الكتابان عدة طبعات بدارالمعارف بمصر

الأدباء – شعراء وكتابا وخطباء – الذين عرفهم الأدب العربى منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث فى ثلاث مجموعات كبرى تمثل ثلاثة مذاهب فنية متميزة هى التى تطور من خلالها هذا الأدب في تاريخه الطويل ، وهى مذهب الصنعة ، ومذهب التصنيع ، ومذهب التصنع ، وكل من يتتبع هذين الكتابين يلاحظ بوضوح أن صاحبهما التزم بدقة هذا المنهج الجمالى وأنه تحرك فى دراسته للأدب العربى فى الخطوتين اللتين أشرنا إليهما منذ قليل ، فوقف أولا عند الأعمال الأدبية التى خلّفها أعلام هذا الأدب ، ليتبين من خلالها ماتشترك فيه وماتتميز به من قيم جمالية وخصائص فنية، ثم مضي – فى الخطوة الثانية – يصنف هؤلاء الاعلام وفقا لهذه المذاهب الفنية الثلاثة التى رآها تمثل حركة أدبنا العربى فى تطوره الفني ، ومن أجل ذلك اختفت من الكتابين الصورة المألوفة لتتبع حركة هذا الأدب – وفقا للمنهج التاريخى – عبر عصوره المختلفة فإذا البحترى – مثلا – يتقدم مكانه التاريخى قبل أبى تمام لينضم إلى شعراء مذهب الصنعة ، وإذا أبو تمام يتأخر عليه ليوضع بين شعراء مذهب التصنيع .

هذه أهم المناهج التى عرفتها دراسة الأدب العربى فى العصر الحديث . وكلما قلنا من قبل ليست هى كل المناهج التى عرفتها دراسة هذا الأدب فى هذا العصر فوراءها مناهج أخرى كثيرة ، ونستطيع أن نسجل أن هذه المناهج المختلفة تهدف – فى أكثرها –

إلى الربط بين الأدب العربى وبين مجموعة العلوم الإنسانية ، وتحاول اصنطاع مناهجها فى البحث العلمى ، وأنه بمقدار ازدهار هذه العلوم وتقدمها ، وتطور أساليبها ومناهجها ، تتعدد مناهج البحث في الأدب وتختلف وتتنوع ، والمسألة كلها تتوقف على طبيعة الموضوع من ناحية ، وعلى استعداد الباحث العلمى من ناحية أخرى ، وموضوع مناهج البحث - كما أسلفنا القول - ليس موضوعا جامدا متحجرا ولكنه موضوع متطور متجدد دائما .

ولكننا لانستطيع أن ننهى القول فى هذه المناهج دون الإشارة إلى قضية مقررة فى «علم مناهج البحث» وهى أن اصطناع الباحث منهجا فى دراسة موضوع من الموضوعات لايعنى التزامه به وحده وتحريم سائر المناهج عليه ، وإنما من حقه - فى ضوء تمثله لموضوعه وطبيعته - أن يصطنع في دراسته أكثر من منهج ، مادام ذلك يتيح له فرصة استكمال جوانب بحثه المختلفة ، ومن هنا ظهر ذلك المنهج الذى يحقق للباحث هذه الفرصة ، وهو «المنهج التكاملى»، وهو منهج نستطيع أن نراه فى طائفة من الدراسات التى أشرنا إليها عند حديثنا عن المناهج السابقة ، والتى نراها تقوم أساسا على منهج منها يكون هو المحور الذي تدور حوله ، ولكنها لاترفض الاستفادة من غيره من المناهج التى تتكامل بها

جوانبها المختلفة ، وقد رأينا الدكتور شوقى ضيف يصرح فى صدر كتابه «العصر الجاهلى» الذى يقوم على أساس من المنهج التاريخى بانه سيفيد فى هذه السلسلة من الدراسات التى تؤرخ للأدب العربى من مناهج البحث المختلفه مستضيئا فى أثناء ذلك بدراسات النفسيين والاجتماعيين ، ومثل ذلك نراه فى غيره من الدراسات التى أشرنا إليها ، ففى كتاب الدكتور طه حسين « مع المتنبى» نرى المنهج التاريخى هو المحور الأساسى الذى تدور حوله الدراسة، ولكننا نرى معه استفادة واضحة من المنهج الجمالى النقدى ، والتفاتاً قويا إلى المنهجين النفسى والاجتماعى ، وفى دراسة الاستاذ العقاد عن «شاعر الغزل» نرى المنهجين النفسى والاجتماعى يتداخلان ويتفاعلان بصورة واضحة قوية ، وفى دراسة الأستاذ الشايب للنقائض ، وهى دراسة قائمة على أساس المنهج الاجتماعى ، نرى المنهج التاريخى والمنهج الجمالى يشكلان أساسين آخرين للدراسة ، وفي دراسة «الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى» اصطنعت المنهجين النفسى والجمالى إلى جانب المنهج الاجتماعى الذى يشكل القاعدة الأساسية لها ، وكذلك فى دراسة «الحب المثالى عند العرب» تتراءى ملامح من المنهج النفسى والمنهج الجمالى إلى جانب المنهج الاجتماعى الذى قامت أساسيا

عليه ، وفى دراسة «ذى الرمة» نرى المنهج التاريخى والمنهج النفسى يتداخلان بقوة مع المنهج الجمالى . فهذه الدراسات لم تقف عند منهج واحد، وإنما استعانت بأكثر من منهج من أجل استكمال جوانبها المختلفة أو - بعبارة أخرى - من أجل «تكامل » البحث فيها .